

أوسان العامري

عُيُونُ
الشقاء

مجموعة قصصية

مجموعة قصصية

عيون الشقاء

أوسان العامري



@جميع الحقوق محفوظة لدى الناشر.

◆ عنوان الكتاب: عيون الشقاء.

◆ إشراف: أوسان العامري.

◆ نوع الكتاب: مجموعة قصصية.

◆ الطبعة الأولى: 2024م.

◆ تدقيق لغوي: عائشة العولقي

◆ تنسيق داخلي: يمان المجد 2255_Inst:yaman

◆ رقم الإيداع بدار الكتب الوطني صنعاء:

◆ الناشر:

لا يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني، ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوقه الملكية الفكرية، أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة الناشر.

إهداء

إلى أولئك المتعبين، الشاحبة قلوبهم، القابعين على
أرصفة الانتظار، الذين يختطفهم الخذلان وقلة
الحيلة،
يستندون على ثباتهم الكاذب، ويخوضون معاركهم
بصمت،
وما بين النصر والهزيمة يضمدون جروحهم
بابتسامة.

١- إسقاط دين

طرق الباب بقوة...

افتح، يا أستاذ "سعيد" !

نظر إلى زوجته التي تضع يدها على خدها فلم تجد داخل

المطبخ إلا الملح.

همس "خالد" في أذنه:

- أبي المدرسة على الأبواب،

متى تشتري لي الدفاتر والأقلام؟

أمسكت "رزان" بيده والدموع تترقق في عينيها:

- أبي ! منذ فترة لا أستطيع أن أعب مع صديقتي،

أنجل منهن، فثيابي ممزقة.

ثم مر بجوار "أسعد" وهو يبكي.

- أريد تفاحة.

وسمع أنين "سعاد" فقد نخر المرض جسدها.

فتح الباب فأمطره صاحب البيت بوابل من الشتائم، فمنذ شهرين لم يسدد إيجار المنزل.

- طيب يا عم "صالح" سيأتي الراتب وأعطيك حقه.

- متى؟

كل يوم وأنا أسمع نفس الكلام منك
انخرج من منزلي أنت مستأجر مماطل
ثم ذهب وتركه غارقاً في خضم الحيرة فقد هاجت لجج القهر
به وماجت.

قبل دخوله المنزل رفض صاحب البقالة أن يعطيه كيلو غرام
واحد من الدقيق، فقد أغلق حسابه
توسل إليه، بيته لا يوجد فيه إلا الماء

زعلق في وجهه:

- وهل تريدني أن أنفق عليك؟

حمل خيئته وعاد إلى منزله صفر اليدين

واضع ناصيته على حافة الباب وطفرت من عينيه دموع
كادت أن تصهر الحديد

رن هاتفه مرة، مرتين، ثلاث، كان ينظر إلى الاسم في
الشاشة "صاحب الصيدلية" ثم تساقطت دموعه بغزارة
استدان منه الدواء لـ "سعاد" التي لم تر العافية منذ شهر، أخذ
بعدها يتهرب منه، فقد آن دفع له نصف المبلغ فقط.
تذكر كيف كان "سلام" صديقه جافا حينما صادفه في
الطريق!
أسرع في الكلام ثم تحاشاه بحجة أنه مشغول.

كان يريد أن يطلب منه مبلغا بسيطا من أجل قوت أطفاله
إلى أن يعود إلى عمله بعد أن تسبب الحادث في كسر رجله
اليمنى

معلم شق الزمن التجاعيد على تقاسيم وجهه
رسم فيه أشكالا هندسية
أصبحت حياته، كالاتمالات،
كالمقادير الجبرية، هو فيها مثل المتغير "سين" في الطرف
الجبري

يبحث عن راتبه لتصبح المعادلة صحيحة
معلم في وطن لم يعد للمعلم مكانته
يصرخ بأعلى صوته:
- أين حقوقي؟! -

يسمع صدى صوته فقط
نحس سنوات لم تكتحل عيناه برؤية معاشه
الذي كان يسد به رمقه

يجر خطاه في الأزقة والشوارع بائعا متجولا ليعول أسرته.
كل من يتتبع منه يردد عليه أنا معلم، من طلابي من دخل
كلية الطب، ومنهم من ذهب خارج الوطن
أحد طلابي الأول على دفعته سنة أولى في كلية الهندسة
ثم يجلس عبرته ويتنهد ويهز رأسه
“كاد المعلم أن يكون رسولا”

خط السير مزدحم، وشمس تموز أحرقتة تندرج حبات
العرق
على جبينه بنجل.

التفت عن يمينه، ومشى دون أن ينتبه، وفجأة!
ارتطم به طقم عسكري ومضى مسرعا دون أن يلتفت له
تجمع الناس حوله، وذهبوا به إلى المشفى، أصيب بكسر في
رجله وأصبح لا يستطيع أن يمشي دون أن يعتمد على عكاز.
أغلق الباب، ومشى يتوكأ على الجدار

سمع أحدهم ينادي باسمه
واصل طريقه إلى الأعلى، ومن سقف المنزل في الطابق
الثاني نظر إليه فقد كان صاحب العربة التي اشتراها منه
وبقي عنده مبلغا من المال
لوح له بيده وماهي إلا لحظات

حتى تجمع الناس حوله وأسقطوا ديونهم التي لهم عنده،
يكفكون دموعهم ويرددون:
- رحمك الله، يا أستاذ سعيد.

٢- ذاكرة معلقة

وصل إلى مسامعها خبرٌ:

" إطلاق سراح مجموعة من الأسرى.. "

" أبا محمد هل ما سمعته صحيح؟! "

نظر إليها والدموع تترقق في عينيه

ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم

" نعم، ستكتحل عيوننا برؤيته.. "

ذرفت دموعها وهي تنظر لزوجها الذي كسر الفقد ظهره،

فابنه الوحيد يقبع خلف القضبان منذ أربع سنوات

بعد أن اختفى اختفاءً قسرياً، ظن أنه في إعداد الموتى بعد

أن فقد الأمل في العثور عليه

رفعت يديها وهي تجهش بالبكاء:

- لك الحمد يا الله، قد استجبت دعائي وهأنا أجد

ريح يوسفى لعل النور يعود لعيني

في الصباح الباكر تسابق الجيران إليها، لتهنئتها

علت الزغاريد، وأقامت وليمة استبشارا بقدم ولدها الآتي

من عدم.

- يا أم محمد، سأذهب إلى المطار

ارتدى أجمل ما عنده وكأن اليوم عيد.

انفرجت أسارير وجهه، وعادت ابتسامة الفرح التي سرقها

الحزن ها هي تترنح على ضفاف ثغره

ودعته ووقفت على باب دارها توزع الحلوى للصغار

تمسك بيدها زجاجة عطر تعانقهم برذاذها

مرت اللحظات ثقيلة على "أبي محمد" ومن بين الجموع رمق
ولده.

لم يستطع أن يتحرك، جثا على ركبتيه، والدمع ينهمر
حملوه إلى ولده، ضمه إلى صدره، وأخذ يتحسس ملامحه وهو
جامد كالصنم دون حراك.

امتلات الدار بالأهل والجيران عند وصوله
وهي تكفكف دموعها، اقتربت شيئاً فشيئاً.
كان نحيلاً، أشعث الشعر، ينطق التعب في ملامحه.
عشريني بملامح الأربعين.

جرت خطاها إليه مثقلة بوجع الفقد
وهمست له: تعال يا كل المنى.

التفت يمناً ويسرة، ثم همس بريية!

- من أنتم؟!

صعقت من هول ما سمعت، أمسكت بذراعه: - محمد،
أنا أمك.

حذق بها ورد بعد برهة:

- أمي أنا؟!!!

علت الأصوات وارتفعت الهمهمات:

- محمدي أنا أبوك، كسرني فراقك، عودتك عودة

الروح إلى الجسد.

انتظرت مجيئك إلى هذه الدنيا سنين

فجئت، ثم خطفوك مني، رموني إلى محطات القهر والانتظار

وهناك كم سألت عنك المارة وشيعتك مرات ومرات

ثم انتحب..

صاح أحدهم؛ دعوه يرتاح، إنه متعب.

جلس ثم حاول أن يقف فلم يستطع، حاول جاهدا أن يرخي

زرارة عنقه لكن يده متصلبة يجد صعوبة في رفعها إلى

عنقه، يغفو قليلا، ثم يفيق مرعوباً.

لقد صار جسدا فقط، أما الذاكرة فهي عالقة هناك وراء
دهاليز السجون.

٣ - عيون الشقاء

لمحت وجهي في المرآة لم أعرفني
غزا الشيب شعر رأسي ولحيتي
لا أظن أنني كبرت
قبل أسبوع أطفأت شمعتي الخامسة والثلاثين
لكن للشيب طقوسه الخاصة
وأنا أتأمل ملاح وجهي التي أجزم أنها ليست لي
تذكرت تعويذات أمي كنت لا أغادر المنزل إلا وقد حصنتي
حكيت لي لأكثر من مرة، وأنا أستمع لها بشغف أنني في
صغري أصبت بالعين، كادت أن تقتلني منذ ذلك اليوم
الذي شاركت في مسابقة هي الأولى من نوعها، ومثلت فيها
مدرستي وحصدت المركز الأول.

بعدها لازمني صداع حاد؛ ولزمت فراشي لأيام
لم تجد المسكات نفعا .
أشارت عليها جارتنا أن تذهب بي لشيخ يرقى من العين،
يقصده الكثير من الناس
تمثلت يومها للشفاء، لكن ذلك الصداع يزورني بين فترة
وقرة

قال الشيخ: أن العين التي أصابني قوية
زاد قلق أُمِّي، فقد فقدت اثنين من أخوتي بمرض الصرع
الذي كان بدايته صداع.
كانت تجزم أن سببها العين، فكلاهما كانا يتميز بذكاء يشد
انتباه من حوله.
لم أتذكر تلك الحادثة إلا أن أُمِّي ما زالت حريصة على مسح
رأسي بزيت الزيتون، وتقرأ علي المعوذات وأدعيتها التي
تهمهم بها.
مما جعلني معرضا للسخرية بين أخواتي

فيهمزن ويلهزن !

- أماه ! وحيدك هذا ليس له جمال يوسف حتى

تخافين عليه.

فكن يغضبونها فتخلع نعلها وترمين به واحدة تلو الأخرى.

فاسمع ضحكاتهن من خلف الباب

- أحمد، هل ستترك هذه المرأة لصاحب المنزل؟

- ها، لا سأنزها حالا

- يعز علي مغادرة هذا المنزل فقد ولد فيها محمد وسارة

- تبا للبخشع!

- لا عليكِ عزيزتي، سنقطن منزلا آخر ربما أوسع منه

- ستصبح المدرسة بعيدة أكثر عن الأولاد

- سأدبر الأمر

- تلك الحقيبة أحملها بحذر!

- ماذا بداخلها؟

- أشياؤك.

- شهادتك، وأوسمتك.

حرصت أن تكون لها حقيبة خاصة

اغتصبت ابتسامة باهتة، وبلعت عبرتي

سيكون لك شأن يا أحمد، لقد تخرج على يدي من هذه

الجامعة الكثير من الطلاب، لكني لم أصادف أحدا بمثل

نباهتك وذكائك.

لست أنا من يمدحك، الجميع يتحدث عنك

أثق أنك ستصبح مهندسا يشار إليه بالبنان

أحمد!

أين شردت؟

هاتفك يرن بين يديك

فتحت الخلط:

- المهندس أحمد

- نعم، معك

هل وجدت عملا؟

للأسف لا ما زلت عاطلا

لقد وجدت لك عملا

حقا!

تعال غداً

- هل أصطحب مؤهلاتي الجامعية؟

-- لا داعي لذلك.

العمل الذي لدي لا يحتاج كل هذا.

خذ هذه القفازات تحمي يديك من الأسمنت،

وهذا الطوب يجب حمله إلى الدور الثاني

كلما كان العدد أكثر كانت أجرتك أكبر.

اعتدت على العمل رغم مشقته

أول يوم من مزاويتي للعمل ناداني المشرف بالمهندس

رد أحد العمال

كلنا هنا عمال بناء، من هذا المهندس الذي بيننا

ثم أردف باستهزاء:

- وأنا كذلك دكتور

ضحك الجميع.

في اليوم الثاني ربطت شهادتي في عنقي

وبدأت أسلم عليهم واحدا تلو الآخر

حتى وصلت إلى ذلك العامل

همست له :

- انظر خريج كلية الهندسة أنظمة حاسوب.

ثم هزرت كتفه وأردفت:

- وأزيدك من الشعرييت الأول على دفعتي، وهذه

شهادة بين عدة شهادات في حوزتي

طأطأ رأسه، لم ينبس ببنت شفة

لم يصدق العمال ما رأوا.
بحلقت عيونهم وشدهوا
وضعتها في جوارى وأكملت عملي،
في تلك اللحظة داهمني الصداع فجأة

أخر مرة زرت فيها الطبيب قال أني أحتاج عناية خاصة،
وقد يتسبب ذلك الصداع في مضاعفات خطيرة منعي من
التعرض للشمس والضوضاء

نصحتني عن الابتعاد عن التوتر والضغط النفسي
أخذت دواء، ثم تركته لكنني اليوم بحاجة لأمي لتمسح علي
رأسي بيديها المرتعشتين، وتنفض دعواتها التي تشعرني بالأمان
عند عودتي ذهبت لزيارتها دعوت لها كثيرا
وبللت قبرها بدموعي

خاطبتها: كنت دائما تحصيني من عيون البشر فلم تصبني
بعد تلك العين عين

ونسيتِ يا أمّاه! إن للشقاء عيون.

ع - ورد

استيقظت في منتصف الليل على
همهمة وصراخ، فتحت باب الغرفة، كان أحدهم يترنخ على
باب غرفته، ويطرقة بشده ثم فُتح الباب، ودلف إلى
الداخل.

استمر ذلك المشهد لأكثر من ليلة،
وأرهقني، لاسيما أنني ألقى بجسدي على السرير وأغظ في
نوم عميق، ولا يوقظني إلا ذلك الصراخ.
في الليلة الرابعة من مكوثي في الفندق حزمت أمتعتي
وقررت أن أتركه في الصباح
نمت لم يحدث شيء.

طرق الباب، فتحت عيني وتأففت، ظننت الوقت مازال ليلاً، تسلس شعاع الصباح مبتسماً يراقص ستائر نافذتي.

كان الطارق يداعب الباب، يطرق برفق، ثم يتوقف .
فتحت وأنا أثناء !

- عفوا: أنت المحامي "أدهم"؟

أجبتها بخجل:

- نعم ،

أردفت باستحياء.

-أنا الآنسة "ورد"، أطلب مساعدتك؟

كنت بملابس النوم، والنعاس مازال يمسك بأجفاني.

كانت فتاة في مقتبل العمر، كأن عينيها الواسعتين

الكحيلتين تمطران، فأهدابها مازالت مبلة ،

وجهها كيباض الثلج، لكنه شاحب وخزين .

"ورد" وهي كالورد في مشاتله

تجمدت أطرافي، وتلاشت العبارات من شفتي.
- هل تعرف زوجي؟ اسمه " عبد السلام محمد"، ذاك الذي
سلم عليك حينما دخلت جناحك هذا،
قال أنك صديقه:
رددت بدهشة!
- أنا لا أعرف أحدا هنا..!
أجهشت بالبكاء وانهمرت دموعها بلا هوادة .
لم أفهم شيئا وبعد تهدئتها،
فهمت أنها تزوجته منذ أسبوعين، قال لها: سيقضي هنا في
الفندق شهرا، وبعد ذلك سيسافر بها إلى بلده في الخليج..
كان رجلا أربعينيا، أغرى والدها بالمال والذهب، لم يترك
لها شيئا حتى حقيبتها أخذها.
مدت لي ظرفا وجدته بالقرب منها، أخذت الظرف فتحتته
بسرعة.

عضضت على شفتي ورفعت حاجبي

- "تبا للوغد.."

قالت بصوت مبحوح:

- أرجوك أخبرني ،هل ترك لي عنوانه؟

لم أستطع أن أخبرها.

هدأت من روعها، ووعدها أنني سوف أتكفل بالأمر فأنا

محامٍ حاذق.

عادت إلى جناحها تجر خطاها،

وتركتني غارقا في لجة قصتها،

بعد يومين من التحري، اتضح أنه غادر البلاد .

أخبرتها بكل شيء، فبحثت باكية على ركبتيها .

أردفت بصوت مشحون بأسى:

-لقد خرجت من ذمته، ومددت لها الظرف.

انهارت قواها فهي لا تعرف في المدينة أحدا.. قريتها بعيدة،

ولا تحفظ أرقام أقربائها.

تكومت الدموع في عيني وعبثا حاولت أن أردّها .
بعد يومين من المعاناة والحالة التي آلت إليها.
تذكرت رقم والدها، حاولت الاتصال به أكثر من مرة
دون جدوى، أخذت الهاتف مني ويدها ترتعشان، ودموعها
تسيح على خديها.

-أرجوك أبي لا تضيعني هذه المرة أيضاً .
ضغطت الزر فسمعت الصوت، فأخذت الهاتف منها
حدثته أنا، وبعد ما قصصت عليه القصة، بكى وتوسل إلي
أن ابنته "ورد" أمانة في عنقي .

بعد ثلاثة أيام قرع جرس الباب في أبكر الصباح .
كان النادل، وبجواره شيخ كبير عانقني بشدة وهو يذرف
دمعه .

أين "ورد" ؟

أخذته إلى جناحها الخاص،

فسمعت صوت بكائهما فبكيت.

هزت كتفي :

- "أدهم"، أين شردت؟

أمسكت بيدها برفق .

- "ورد" ألا تذكرين هذا المكان

تذكرني منذ عامين.

استدارت ثم حدقت بالمكان ملياً

رأيت دموعها تسيح على وجنتيها، ثم غطت وجهها بكتلتا

يديها.

وارتمت في حضني وهي تنتحب:

- أرجوك أخرجني من هنا.

فغيرت وجهتي إلى فندق آخر.

0- كمامة

دلف إلى المنزل بعد يوم شاق. ينفض الأتربة عن شعره
الأشعث، وكتفه المتهاك
ركض صغاره نحوه يحدقون بيديه وتمتد أيديهم الناعمة إلى
جيوبه فتعود خائبة خالية..
نادى بصوته الحاد:
- سمير تعال إلى هنا...
أقبل سمير، ابن اثني عشر ربيعاً، أسمر البشرة، نحيل الجسم،
وعينان بنيتان .
-نعم، أبي أنا هنا.
-خذ هذه النقود واذهب إلى البقالة واجلب لأخوتك بعض
الخبز والرغيف...

وقف سمير مشدوهاً يتأمل ذلك الزحام أمام الصيدلية

جذب ثوب أحدهم إليه قائلاً :

-ياعم، هل يوزع الطعام هنا ؟

ضحك الرجل ثم رد ساخراً !

-ألا ترى أنها صيدلية !

هم يتعاركون من أجل شراء كمادات وقفازات

خوفاً من انتقال الوباء

ألم تسمع عنه يا صغيري؟

رد سمير ببراءة :

- ذهبت إلى المسجد فوجدته مغلقاً.

فلمعت الدموع في عينيه، ثم أردف:

-لماذا يغلقونها وهي بيوت الله؟

كان الرجل ينصت إلى كلامه العذب ، تبعثرت العبارات
على شفثيه .

ثم تابع سمير:

- يا عم، هل هذه الكمامات والقفازات ستحمينا من
الوباء؟

أجابه الرجل:

- الحامي الله يا ولدي، ابتعد عن الزحام وعد إلى منزلك .

شكره سمير ومضى

بعد أن اشترى كمامة، وقفازتين، ورغيفا.

زعق والده بصوت هز جدران المنزل:

- ما هذا؟

رغيف فقط !

أين الجبن؟

رد سمير بصوت يرتجف:ـ اشترت هذا وأشار إلى الكمامة
والقفازين:

-قال لي أحدهم أنها ستحميني من العدوى بالوباء
هوت صفة على وجهه، أسقطته أرضا ثم ركله بإحدى
قدميه .

-هل سأطعم أخوتك هذا أيها اللعين؟
خرج سمير وهو يشحج من شدة البكاء، وقد تبلت كمامته
بدمعه

جلس على الرصيف الشارع خال من المارة،
الشمس تنحدر نحو المغيب.
وقفت سيارة فاخرة قبالته، ونزل منها رجل مهندم
مسح زجاجها بمنديل وهو يتأفف
اقرب سمير منه وبصوت هادئ: هل أستطيع أن أساعدك
سيدي؟

استدار الرجل نحوه ثم قال:

الزجاج متسخ حجب عني الرؤية يحتاج إلى تنظيف وورشة
الصيانة مغلقة.

قاطعة سمير: أنا أجيد تنظيف السيارات

سأجلب معداتي وآتي إليك.

ماهي إلى دقائق حتى أصبحت السيارة نظيفة تثنألاً لمعانا.

أدخل الرجل يده إلى جيبه وأخرج مبلغاً من المال ووضع

في يد سمير ونظر إليه مبتسماً:

هذا أجرك أيها البطل

طار سمير من شدة الفرح وركض مسرعاً إلى منزله

دلف إلى المنزل وهتف بصوت فرح:

"انظروا! لقد جلبت لكم الجبن والبيض وبعض الحلوى

ولدي ما يكفي لغد وبعد غد

تبسم والده وربت على كتفيه:

أحسنت، صرت رجلاً يعتمد عليك
سمير وقد رفع اللقمة إلى فيه: أووه ! لقد نسيت الكرامة
والقفازات هناك في أقصى الشارع.

٦- بقايا قلب

"نجوم السماء أقرب لكِ من الجامعة"
هزتني تلك العبارة حينما صرخ بها أخي في وجهي
عندما سمع حديثي مع والدي عن الجامعة.
سمع والدي رد "حسام"، اقترب مني وربت على كتفي
مبتسماً
"تستطيعين الذهاب إلى الجامعة غداً، أنتِ أهلا لها وأنا أثق
في ذلك"
أثلجت صدري كلماته ومنحتني الثقة والسكينة.
استيقظت في أبكر الصباح أرتب أمنياتي
كان صباحاً مفعماً بالنشاط والأمل
أول يوم من مزاويتي الدراسة في الجامعة

كل شيء كان غريباً بالنسبة لي، ذهبت برفقة والدي فأنا غريبة عن المدينة ولا أعرف أحداً فيها
دخلت البوابة اتباني شعور غريب، تذكرت كلام حسام " أسمح لها أن تختلط بالشباب "
قلت في نفسي: لا ضير ما دمت محتشمة.
دخلت القاعة مرتبكة، جلست في المقاعد الخلفية
امتألت القاعة بالطلاب، جلست بجواري ريم تعرفت عليها
وتحدثت معها قبل دخول الأستاذ الذي أرعد وأبرق دون أن أفهم منه شيئاً إلا تهديداً ووعيداً.
يوماً بعد يوم زادت علاقتي بريم، وصارت قريبة مني.
ريم فتاة بشوشة تتحدث مع الجميع، فالكل يكن لها كل الاحترام فقد كانت مطلقة وأما لطفل على الرغم أنها أكبر مني بعامين.

أنصت لحديثها ومعاناتها، وأحيانا أشاركها البكاء حينما تبكي شوقا لولدها ابن الخامسة الذي لا تراه إلا في الشهر مرة، رفض أهلها أن يكون معها بعد أن تزوج والده. أخفف عنها ما استطعت، وأشغلها بالمراجعة، فقد كانت مهتمة بدراستها

-ريم، أريد دقتر محاضراتك

ردت: حسناً، يا طارق ذكرني حينما نغادر القاعة.

بين الفينة والأخرى أسترق النظر إليهما وهما يتحدثان، فتقع

عيني في عينيه، فيبتسم

فاتركهما وأذهب.

انتظرتها وكدت افقد صبري

-هل تأخرت عليك يا سوسن؟

- ليس كثيراً، فالمرّة القادمة لن انتظركِ

تعرفين أنني أشعر بالخوف حينما يحاذيني أحدهم

أو ينظر إلي، أحسدك على شجاعتك
ضحكت ريم ثم أردفت:

-أنتِ نجولة، والجميع يخاف منكِ

على الرغم من تفوقكِ، وتميزكِ!

تحدي، لم هذا الانطواء والخوف؟

ستمر هذه السنوات سريعة وستبقى الذكريات الجميلة احتفلي

بشيء منها

زجرت قائلة:

-أنا هكذا لا أريد أن أتغير

وأنتِ ما قصتكِ مع طارق؟

وحديشكما الطويل

ضحكت، ثم ردت:

-تعرفين، أعرف طارق أكثر من نفسي

ابن جيراننا، شاب خلوق ومهذب، ليت كل الشباب مثله
صار هذه الأيام يحدثني كثيراً
قاطعتها:

-تقولينها بعظمة لسانك!؟

ردت بصوت مشحون بالأسى !

-أنا أحببت شخصا صنع في خاصرتي جرحا لا يندمل ثم
استرقت من عينيها الواسعتين دمعتين.

- طارق يحدثني عنك ألا تلاحظين نظراته واهتمامه!؟

بحلقت بعيني، وتسارعت نبضات قلبي

- ما هذا الهراء أراك تهدين بكلام سيغضبني؟

كنت أظن أنك مختلفة عن الجميع ابتعد عنهن لأن حديثهن
لا يروق لي واخترتك أنت رفيقتي.

أنا جئت هنا للتعلم لست راغبة بأحد
ثم تركتها وذهبت.

مريومان دون أن أتحدث معها على الرغم من محاولاتها.
وزاد غيظي حينما رأيت طارق يستوقفها
بعد أسبوع عادت المياه إلى مجاريها، فقد اعتذرت لي
وصفحت عنها.

مرت السنوات سريعة، وما زادت طارق إلا إصراراً
حاولت صده بكل الوسائل دون جدوى.
ريم وهي تبكي:

-طارق تعرض لحادث مروري..!
صرخت دون أن أشعر. هل مات؟
ردت:

- لا أدري بحالته.

لم أنم ليلتها، وبكيت حتى جفت مدامعي.
في الصباح جلست في المقاعد الأولى في المدرج انتظر ريم.
سمعت صوت أحدهم:

- ألا تقولين لي "الحمد لله على السلامة"
كانت يده اليسرى معلقة إلى عنقه
انتفضت!

- طارق! كيف جئت؟
رد جئت من أجلك، فالיום عيد ميلادك.

انطوت الأعوام ومرت كغمضة عين، وأصبحت ذكريات
كما قلت يا ريم، لكنها مثقلة بالوجع .. تصحبني معها كل
ليلة، نتسامر أنا وهي، والليل والسهد، والقمر، والدموع.
لم أنس تلك اللحظة التي زارنا فيها وهو مبتسم فقد وعد وأوفى
بوعده.

عندما أكل حديثه رد أبي:

- لا أزوج ابنتي لشخص مازال يبحث عن عمل. عندما تجد
الوظيفة، وتملك بيتا يليق بابنتي، وتدفع مهرًا يتحدث الناس
عنه، اطرق الباب وقتئذ، ولكل حادث حديث.

ثم صك حسام الباب بقوة في وجهه.
هاتفني بعدها وهي المرة الأولى بعد تخرجنا وهو يقول:
- عديني أن تنتظريني، سأعترب وأجمع المال
وأحقق كل ما طلبه والدك، وأعود إليك.
عديني ألا تخذليني.
كانت كلمتي الوحيدة التي نطقتها، وقد اغرورقت عيني
بالدموع:
-أعدك، أعدك يا طارق،
وها أنا ما زلت على الوعد.
لم أعلم أنه ذهب إلى جبهة القتال،
وباع نفسه من أجل أن يحقق ما طلبه والذي
دروع بشرية هم مقابل راتب مغري قد يمكنهم من أن يبنوا
حياتهم، وقد يرحلون دون أن يذوقوا طعم الحياة التي
أرادوها
انقطعت عني أخباره بعد أن تزوجتي يا ريم

ليتني رفضته ليتزوج غيري ويعيش.
قدم روحه قربانا لحبٍ سرق من بين أيدينا.

سقى الثرى بدمه وعانقت روحه عنان السماء
فاضت روحه إلى باريها، لتشكوا له الظلم والجور.
-أما زلت تذكرينه؟؟
-نعم، أذكره.

دلفت اليوم إلى منزلِكِ كانت نافذة غرفته مفتوحة اعتدت
أن أراه خلفها في كل مرة كنت أزوركِ فيها.
خيل لي أنه قابع هناك ينظر إلي مبتسما
تجاوزت الثلاثين ومازلت انتظره.
مات الرجال في عيني من بعده يا ريم.

v- قتل حلمة:

كانا يتشاجران، زجرها بعنف:
-سوف أمنعك من دخول الجامعة، لن أدعك تواصلين
دراستك .
لم أنتبه إلا وكفي على خده
صارخة في وجهه :
-ومن أنت حتى تقتل حلمها؟!
تسمر أمامي ودموعه في عينيه،
-سعاد: أماه؛ هو يمازحني!
-نبيل: نعم؛ يا أماه أنا أمازحها
هي أختي كيف أقتل حلمها؟!
أفلتُ يدي وقد تجمدت.

تلك الكلمات أدمت جرحاً مرّت عليه السنون. نشأت مدللة
وحيدة بين ثلاثة أولاد، ومتفوقة في دراستي وهذا كله كان
كافياً لسعادة والدي وفرحته بي، فغالبا ما كان يناديني :
نور الدار .

لطالما حضر معي إلى المدرسة في حفلات التكريم، فقد كان
يفخر بي كثيراً.

كنت الوحيدة بين فتيات العائلة، التي يشجعها والدها على
التعليم، فبنات عمي تزوجن وهن في المستوى الإعدادي.
كان حلبي أن أصبح طبيبة،
كما كان حلم والدي، كما كنت أحدثه دائماً أنني سأحقق
حلبي وحلمه.

يوفر لي كل شيء، أحب الكتب أكثر من حيي للملابس ،

ففي غرفتي مكتبتي الخاصة وفي كل عيد ميلادي يهدي لي
والدي مجموعة من الكتب التي أعشقها.

تقدم لخطبتي ابن عمي فرفضه والدي، وتسبب ذلك في
مشكلة بين أبي وعمي كل ذلك لم يمنع والدي بأن يكون
بجانبي ومعني.

في المرحلة الثانوية تميزتُ أكثر، ورفعت رأس أبي كما كان
يقول لي :

-أنتِ من سيرفع رأسي عالياً .

كان يجلس يسامرني في غرفتي، يشاركني تفاصيل يومي
بدقة،

وفي ليلة ما صحوت على صراخ أمي وأبي أمامها دون حراك
مات أبي إثر نوبة قلبية كنت في بداية السنة الأخيرة من
الثانوية.

شعرت يوماً كأنني دفنت قلبي مع أبي، لم أعد أشعر بأي شيء، لقد فقدت من كان لي الحياة.
حاولت أن أحافظ على مستواي الدراسي وأخرج بمعدل يؤهلني لدخول الجامعة، وأصبح تحقيق حلمي عهداً قطعته لوالدي.

بذلت قصار جهدي ونجحت بأعلى معدل.
عدت إلى كتيبي أقرأها واستعد لدخول الجامعة.
لكن، حدث ما لم أتوقعه، صديني أخي الأكبر عن الجامعة بكل صرامة، رفض بحجة أنني الوحيدة من بنات العائلة التي تريد مواصلة الدراسة، وهذا في عرفهم خروج عن الأعراف.

توسلت إليه، صرخت، إنه حلم أبي، أريد تحقيقه، لكن لم أسمع صدى لصوتي، فأيقنت يوماً أن حلمي دفن مع أبي.

هرعت إلى غرفته وسكبت دموعي على سريريه واحتضنت
نظارته، وكتبه، وبكيت حتى
بللت أوراق الكتب.

حزنت أُمي، ورثت لحالي، لكنها كانت عاجزة عن فعل
شيء

فقد ساءت حالتها بعد فقد أبي وازدادت سوءًا حزنا على
حالي .

أدمنتُ العقاقير الطبية، فنوبة الصداع كانت تجتاحني كل
ليلة.

بعد عام، غادرتني أُمي ولحقت بأبي سريعا، فقد ماتت كمدًا،
وألمًا لما حل بي من كمد .

كنت أتصنع الابتسامة معها،

فتضع كفيها على خدي وتهمس لي:

-يانور داري مال ضوؤك خفت وجهه.

كنت أختنق بالعبرات أمامها، فتشعري بي، فتبكي قبلي،
رحلت وتركتني وحيدة أصارع تلك الهواجس التي صرت
حبيستها حبيسة غرفتي، أتأمل كتبي، فقد أصبحت ذكرى
مؤلمة لحلم مات بين يدي.
نظرت في المرأة فلم أعرف نفسي، شاخت ملاحي ؛
وشقت التجاعيد وجهي عشرينية في صورة خمسينية.
تزوجت من رجل أعمال يكبرني بعشرين عام، كان تاجراً
وصديقاً يتقرب منه أخي.
قبلت بالهروب من اللاشيء إلى اللاشيء.
انهر بجوالي ودللي كثيراً،
وحاولت أن أنسى كل شيء
تناسيت ولم أنس، أنجبت منه نبيل، وسعاد، فكانا لي تلك
القشة التي تعلق بها لتقذني من بحر الكآبة .

بدأت أتنفس الحياة من جديد أحاول أن أخرج من بين
أنقاضي،

أن انتشل ما تبقى من نفسي من وسط ذلك الركام أن
أصعد تلة الأمل لأرى الحياة أجمل.

لكنني عدت مرة أخرى إلى المكان الذي كنت فيه ،
وكان الأيام تغار أن تراني أبتسم .

بجأة ودون مقدمات غادرني أبو نبيل بحادث مروري،
تلك اللحظة بلورتي من جديد، ورمت بي في حضن الوحدة
والانزواء .

وعادت دمعتي تذرف مجددا، تبكي حلم قتل في مهده، ولوعة
فراق الأحبة لم أحتملها.

-أماه أرجوكِ سامحيني لم أقصد شيئا، احتضنته وأنا أبكي: -
سامحني أنت يانبيب .

٨- فويا المصعد

أول يوم من مزاويتي للعمل في شركة مرموقة كانت الدنيا لا
تسعني
فقد تحقق حلمي
تجولت فيها قبل دخولي للمدير لفت انتباهي صوت المصعد
وقفت أمامه، وضحكت
عادت بي الذاكرة إلى ما قبل عشرين سنة
نشأت، وترعرعت في البادية بين الحقول، والجحور، وتسلق
الأشجار، ومطاردة قطع الأغنام، فكان لي في كل يوم
مغامرة مثل مغامرات "ماوكلي"
كنت أرتاد المدرسة في الصباح، وتبدأ مغامراتي بعد
الظهيرة.

انتقلت إلى المدينة مع عائلتي من أجل عمل ولدي، ولأكل
تعليمي هناك

في المدينة اختلف كل شيء الشوارع، والمباني العالية،
وضجيج السيارات.

التحقت بمدرسة في المدينة كانت مميزة

لمع فيها اسمي فقد كنت في ركب المتفوقين

لم أكن أملك المال الكثير، فمن ملابسني يعرفني من ينظر
إليها إلى أي طبقة انتمي

على الرغم من ذلك كان مهند يتقرب مني، فكننت أساعده
في حل الواجبات، وأشرح له بعض الدروس التي لا يفهمها

كان يحدثني عن شركة والده، ومنزلهم الفاخر

ومرة قال لي: في بيتنا يوجد مصعد

كانت تلك الكلمة بالنسبة لي تحتاج إلى ترجمة

فأنا ابن البادية

تسرعت في السؤال

قلت له: هل تلعب معه؟!

ضحك، وسقط على الأرض من شدة الضحك!

وأخذ يحدث التلاميذ وأصبحت مسخرة بينهم

تمنيت يوماً أنني مت

أقرب مني أحدهم: _المصعد يوجد في المباني العالية.

لم أفهم ما قصد، وتركهم يضحكون، وابتعدت عنهم

وصرفت وجهي عن مهند .

كنت كلما مررت بجوار مبنى مرتفع أول ما يتبادر إلى

ذهني يوجد في هذا المبنى مصعد.

مرضت أمي وذهب بها أبي إلى مشفى المدينة ورقدت أمي

في المشفى أسبوع فقد كانت متعبة

ذهبت مع أبي لزيارتها فكانت المصادفة أن المشفى كان ذو طوابق عالية،

فقلت في نفسي سأجد المصعد هنا

كانت أمي ترقد في الطابق الأول،

وقفت على باب الغرفة أنظر للهارة في المشفى ' فشد انتباهي

ذلك الباب الذي يدخله الناس ويخرجون منه ليسوا هم!

لم أفهم شيئاً ركضت إلى أبي وأمسكته بيده قلت له: - تعال

لأريك ذلك الشيء العجيب يدخل فيه الشخص، ويعود

شخصاً آخر،

وحينما رآه أبي عاد إلى أمي يضحك

عدت إليه وقد قطبت حاجبي وضممت شفتي غاضباً

- ذاك مصعد يوجد في المباني العالية

ليصعد بهم إلى الطوابق المرتفعة، يحتوي أزراراً تعمل

بالكهرباء.

فهمت حينها ونجلت من نفسي، وعرفت لماذا ضحك
زملائي،

تلك الليلة نمت أنا وأبي عند أمي

لم تذق عيناى النوم استيقظت، وفي حب المغامرة أردت
أن أدخل المصعد .

وقفت أمامه ففتح على مصراعيه، فدخلت

دخل معي أحدهم فرأيته يضغط على تلك الأزرار ثم خرج،
وبقيت أنا في المصعد

عبثت بالأزرار فكان يذهب بي من طابق إلى طابق حتى
تعبت وماهي إلا ساعات حتى توقف عاودت ضغط

الأزرار، وأنا أقول عد بي أيها المصعد إلى أبي لقد تعبت،
فتحت عيني ورأيت أبي بجواري وأنا على السرير وجهاز

التنفس على فني

يومين في العناية بعد أن كدت أفقد حياتي فقد كنت
حبيس المصعد من منتصف الليلة إلى الفجر بعدها فقدت
وعيمي.

منذ ذلك الحين كلمة المصعد تسبب لي فوبيا مرعبة لم أصعد
بعدها المصعد أبداً.

انتبهت على صوت أحدهم، أترت الشركة
- أستاذ علي، تعال المدير يريدك.

٩- طوق الياسمين

مالت برفق على جانب من سريرها، تتحسس حواشيه، إلى أن لمست يدها صندوقها الأثير والصغير، فجذبتة من تحت السرير بلطف وعيناها تتأملانه كأنها تراه لأول مرة.

اعتدلت في جلستها وشرعت

تفتحه بعناية فائقة، وقد ضمته بكتنا يديها، فنثر الحنين غباره حول أجفانها الداوية، رفعت دفته نحو الأعلى، فوقعت أناملها على كتابٍ قديم، فأخذته من الصندوق الصغير كأنها تحمل وليدها، تسارعت نبضات قلبها ورفّت أهدابها وهي تفتحه وتقلب صفحاته، فاستقر بصرها على قصاصات من الورق بين الصفحات، قصاصات صغيرة، لكنها تحمل لها الكثير من السطور التي تلتهمها عيناها فتروي ظمأهما، وبين كل قصاصة

وأخرى بعض زهرات الياسمين اليابسة، فاح عطرها فاخترق
أنفها وتنفست شرايينها وسرت حرارة في جسدها حتى كاد
ينفجر، حضنت الكتاب بلطف إلى صدرها لتهدى من
فورانه، وضمت القصاصات إلى شفيتها تلثمها، إنها سنون
عمرها التي طوتها بين طياته، فبكت حتى جفت دموعها
وبللت آخر دمة كلمات الوداع الأخيرة على آخر قصاصة.
مر بذاكرتها شريط سريع من تلك الأيام الخوالي، حين كان
لقاؤها الأول به قرب شجرة الياسمين المتكئة على سور حديقة
بيتها.

كان ينتظرها كل يوم وفي نفس الموعد، فتشرق شمس يومه
على ثغرها المبتسم،
فيأدها الابتسامة، وعيناه تحديقان في صمت بتقاطع وجهها
النضر، وبوجنتيها الورديتين،

وما أن يضع لها رسالة بين زهرات الياسمين، حتى تتملكها
اللهفة فتأخذها، وتضع مكانها رسالتها الوردية الصغيرة .

فتلوذ إلى الليل تحكي لتلك الزهرات ما بين السطور، تروي
لها شغف قلبه بها، فتهم بين النجوم نتلمس وجهه وتبحث
عن بصيص أمل يوصلها إليه، إلى أن يغالبها النعاس، فتنام
على أمل لقاء آخر ورسالة جديدة تحمل إليها عبق الياسمين
وعطر أنفاسه، فتنتشي بأحلام لا نهاية لها .

حدث أمه بشغف عنها، عن حبه لها، تطايرت السعادة من
عينيه وهو يحكي عن طوق نجاته.

لكن حدث مالم يتوقعه، فأمه لا تريد له من البنات إلا ابنة
أختها زوجة له، توّسل إليها ولكنها خيرته بين السخط
والرضا.

صرخ في وجهها:

- كيف أتزوج بواحدة وقلبي مع أخرى!؟

لم تأبه لكلامه ردت عليه بكل صرامة وجبروت:
- لا يمكن، مستحيل هي مسألة حياة أو موت، فاخترني أو
اخترها .

لم يستطع والده أن يواصل الوقوف في صفه، فالقرار الأول
والأخير بيد الأم،

فاغتيلت سعادته عند أول منعطف، فاتخذ قراره .
في الصباح استيقظت أمه ولم تجده في فراشه، ولكنها
وجدت مكانه رسالة تحمل إليها خبر مغادرة وليدها البلد إلى
وجهة غير معلومة، ليكمل دراسته .

خيم الحزن على والديه، وارتدى البيت السواد بكت أمه
بحرقه، فقد غادرهما دون وداع بعد أن وضع لحبيته رسالة
وداع تحت أغصان شجرة الياسمين العتيقة .

تملكها الحزن ذاك الصباح، لم تجده كعادتها في مكان،
ولكنها عثرت على رسالته بين أغصان الشجرة وفوقها طوق
ياسمين، فتحت الرسالة وأوصلها لترتعد واستحال حزنها جزعا
قرأت:

" لم استطع أن أفي لك بوعدى فتركت الديار، فأنا لا
استطيع أن أعذبك أكثر. سأظل على العهد ما حييت "
لم تم تلك الليلة، بكت بحرقة فارتوى طوق الياسمين من
دمعها الحارق .

انقضت خمس سنوات منذ أن غادرها واجتث معه قلبها
من مكانه لا تزال على وعدا .
كل يوم تذهب إلى شجرة الياسمين تسألها عنه، تساقطت
زهراتها زاوية تعانقها وتخفف من ألمها ذبلت، أسرع بها
السنون، وكأنها أمس .

سمعت بعودته، أخيراً !

استيقظت باكراً، فارتسمت ابتسامة الفرح التي غادرتها منذ
سنين .

انتظرتة هناك، حيث كان لقاءهما الأول .

كانت تحمل بين يديها طوق ياسمين صنعته للتو
المكان مكتظ بالمارة، تعبت عيناها من البحث عنه بين
المارة، ذبل الطوق

فأطرت رأسها وتعلقت دمعتان صغيرتان على أهدابها
انتبهت على صوت تعرفه، قادم من بعيد أيقظ حلما دفينا
منذ سنين،،
أعاد النداء:

- ياسمين انتبهي ستقعين يا صغيرتي!!

كانت طفلة تتقاذف كالغزالة، تنطّ حول قديمي أبيها، إنه هو .
تأمل حلما الذي يتبخّر أمامها .

ابتسم وهو ينظر لامرأة شقراء، عيناها زرقاوان وقد لف
ذراعه حول خصرها الرشيق، مرّ أمامها فعصف بكل ما
تبقى من كيانها .

صرخت مشدوهة بصوت خافت: -هو، نعم. إنه هو.
تواري عنها، وصدى ضحكاته مازالت تطرق مسامعها .
ارتجفت شفتاها، تلاشت الدموع من عينيها كما تبددت
العهود والأحلام .

وارتعشت يداها، سقط طوق الياسمين من يديها فتناثرت
زهراته مغادرة بتلاتها، مُشيعة جبا مات في حضن الخلدان.

١٠- الغصن والعصفور

رفرف عصفور جميل حول شجرة..
لقت انتباهه غصن يهتز والأغصان ساكنه.
حاول أن يأوي إليه، لكن الغصن اضطرب أكثر.
طار العصفور،
والحيرة تملؤه..!
ما بال ذلك الغصن؟!
عاد إليه وفي كل مره يحاول أن يستقر عليه.
همس العصفور للغصن:
ما بك؟!
ما قصتك؟ ما بال نسمة تهزك؟
رد عليه الغصن:

لا تقترب مني، فأنا غصنٌ أحب الحرية، لا أريد أحداً أن
يأوي إلي.

لا أقوى على الفراق.

الوداع لا أطيعه

الوجد أبغضه

نثر العصفور لحنه؛ فبدأ الغصن يسكن.

رفرف العصفور احتفالاً.

عاد الغصن يهتز اختيالاً.

همس العصفور للغصن: وجدت سعادتي بقربك.

سكنت إليك!

فأنا قد جئتك من طرف الأرض ترحالاً.

هنا رحلتي انتهت إليك.

رد الغصن: لا، أنا لا أستطيع السكون، أبحث لك عن
غصن آخر فالغصون كثير.

هبت عاصفة عاتية اضطربت الأغصان، وعلق العصفور
بينها.

تعلق بالغصن المهتز فسكن
فقد خاف أن يؤذيه.

حاول جاهداً أن يحميه بأوراقه من تلك العاصفة.
نجا العصفور.

ررف حوله: أنا مدين لك بحياتي أيها الغصن المهتز.
كان يأتيه كل يوم.

ينثر ألحانه العذبة، يسكن الغصن.
ضرب العصفور بجناحيه حوله:

سأغيب عنك

لا تخف سأعود

سأسكن إليك
لكن الغصن حزن.

أبرم العصفور وعداً أن يعود.
قطع الغصن وعداً أن يظل ساكناً حتى يعود إليه
طال الغياب.

أسقطت ليالي البين أوراق الغصن.
نسي كيف يهتز!

هو على العهد باقٍ، عصفت الرياح بالأغصان فتمايلت.
أبى الغصن إلا السكون فاشتدت عليه رياح
الشوق فانكسر.

١١- خريجة

" ضعيفة الشخصية " هكذا كانت تنعتني صديقتي عهد

معها حقاً

فأنا لا قرار لي

تخرجت من الثانوية كان شغل أمي الشاغل متى يطرق

الخطاب بابي، فقد تزوجت أغلب فتيات الحي وأتعمهم

حظاً حسب قول أمي: كنت أنا؛ فصاحبة الحظ الوفير من

يطرق الخطاب بابها ومازالت في الإعدادية

تتجمع نساء الحي عند أمي، وليس لهن حديث إلا الخطوبة

والزواج.

قررت دخول الجامعة جن جنون أمي:

- " ستصبحين عائساً لا أحد سيرغب بالزواج منك

الجامعيات يا ابنتي، يفوتهن قطار الزواج وهن مشغولات
بالجامعة."

ضحكت حتى أمسكت بطني، غضبت رمتني بجذائها
-"أنت لا تعرفين مصلحتك."

رفضت البتة أن ألتحق بالجامعة لكنني أقنعتها أنني سأتركها
متى ما تقدم خاطب.

طاب خاطرها ووافقت بعد مشقة
وسمعت إحداهن تحدثها:

-"دعها ربما يعجب بها أحدهم يأتي لخطبتها ما أدراك."
قالت أخرى:

-"وقد تستطيع أن تأتي هي به"
غضبت أمي من قولها:

-"كيف تأتي هي به!؟!"

أكلت المرأة:

"- توقعه في حبا، فيأتي لخطبتها " وغمرت لأمي بطرف عينا

تمت في نفسي:

"إن كيدكن عظيم"

لم يكن يشغني شيء سوى أن أكل تعليمي فقط

لا تهمني صيحات الموضة

ولا شد الانتباه بلباسي، فقد ترعرعت على الحشمة والحجاب

أكلت السنة الثانية، وأنا أدعو أن يتأخر ذلك الطارق حتى

أصل إلى مرادي

في حفلات الأفراح

التي أذهب إليها مكرهة

لا بد أن ألبس أحسن الملابس لأن إحداهن تبحث عن

عروس لولدها، كنت أشعر أنني سلعة أعرض للبيع

تقدمني أمي لكبيرات السن، فهن خيريات بالخطاب

بدأت أسمع كلمة عانس من أمي حينما مرت سنتان دون
أن يتقدم لي أحد.

لم أتجاوز العشرين، لكنني شعرت أنني كبرت، فأخر
صديقتي تزوجت وهي أم لطفلين
طرق الباب بشدة

- "يا أم وعد أبشري لقد جئت لك بعريس" . هشت أمي
وبشت وتهلت أسارير وجهها .

العريس الذي جلبته أم أحمد مطلق، ويكبرني بعشرة أعوام!
واقفت عليه تحت ضغط أمي بعدما صبت وابل غضبها علي
قالت: إنه وافق ان أكل تعليمي، وأنه مثقف وسيساعدني
في دراستي

لم نعرفه ولم نسأل عنه، لكنه كان أول طارق
كما قالت أمي:

هو المقعد الأخير في القطار

تزوجت وهربت من شبح العنوسة
كان ينتظرنى شبح آخر لم أسمع به .
لم يكن قفصا ذهبيا كما وصفوه ،
كان ززانة ذقت فيها ويلات العذاب
أهذا السكن والأمان الذي كانت أمي تحدثني عنه ؟!
أهذا الذي يشد عضدي والغطاء الذي يسترني وأصبح في
كنفه محصنة
جئت مرة إلى أمي أبكي وكشفت لها عن عضدي وأجزاء
من جسمي فقد ضربني أكثر من مرة:
- " لن أذهب إليه سأبقى عندك
أريده أن يطلقني !"

زجرتني بعنف:

- " ماذا؟!"

أقسم إن أعدت ما قلت سيقنتك أبوك، ليس عندنا بنات يتطلقن.

أتريدن أن يشمت الناس بنا

هل حدث لعقلك شيء؟!؟"

وتابعت بصوت أقرب للهمس

" عهد تشكو لي زوجها الذي ينام طوال النهار وفي الليل يسهر مع أصحابه حتى الفجر وهي خادمة لأمه التي تصرف عليهما ؛

ومنى زوجها سافر بعد زواجها بشهر وتركها حبيسة أربعة حيطان

أما نجوى فقد تطلقت بعد سنة

وأعجاب قتل زوجها وهي حامل بالطفل الثالث"

كانت تصبرني قليلا أخبار صديقاتي

لكن على الرغم من ذلك كان مصابي جلال

فلا يضرب المرأة إلا لئيم
فكيف لي أن أعيش مع شخص لئيم
بعد ثلاث سنوات ركمني خارج الباب ورمى علي يمين
الطلاق

كان فرجا ومخرجا، فرحت كأسير أطلق سراحه بعد أن
حكم عليه بالسجن المؤبد..
عدت إلى جامعتي وكان قراري الأول الذي اتخذته
بكل حزم.

اليوم تخرجت شعرت بفرحة لم تغمرني من قبل.
حققت ما كنت أصبو إليه سأسير قدما نحو طموحي
سلمت عليهن وعطرت رأس أمي بقبلة
باركن لي فأنا أول خريجة في العائلة .

- "لقد تخرجت يا أماه."

هزت أمي رأسها والدموع تلمع في عينيها

ردت خالتي:

"- كذلك أول مطلقة في العائلة"

١٢- سمراء

أيقظني صرير الباب، دلفت إلى الغرفة، غرقت في ظلامها
الدامس

أشعلت شمعة وتركت أربع شموع على المنضدة
نظرت إلى صورة معلقة على الحائط؛ هي بجواره يتأبط
ذراعها وينظر إليها مبتسماً وهي في فستانها الأبيض كالأميرة
مسحتها بأناملها ثم أجهشت بالبكاء.

على المشجب مازال معطفه معلقاً، نفضت عنه الغبار،
احتضنته وغسلته بدموعها

منذ غادرت هذه الغرفة برفقته لم تنظر إلي أبداً نسيت حتى
ملاحها

كانت تقف ساعات تسرح شعرها الفاحم وتدور حول
نفسها وهي ترتدي فستانها الأسود القصير يمازحها تنظرين
إلى المرأة أكثر من نظرك في وجهي
ضحكت: "أتغار منها؟!!"

- "نعم.

- "انظر أأست جميلة؟!!"

- "أسألي مرأتك!."

- "مرآتي تقول: أنني أجمل فتاة.

- "لكنك سمراء"

تضم شفيتها غاضبة

يلفها بذراعيه

- "سمراء وأنا مجنونك."

نتعالى ضحكاتهما

سمعت أزيز صدرها ورأيت يداها ترتفع إلى عينيها

هبت نسمة باردة فحركت ستارة النافذة كان القمر متسقا
في كبد السماء.

هرعت إلى النافذة وأغلقتها

"لا تغريني أيها القمر لا أستطيع النظر إليك بمفردي،

لا أريد نورك يصل إلي أنا عتمة لا أريد ضوءاً

نجمة شاردة تلاشي وميضها

خمس سنوات أيها القمر تطحنني رحي الانتظار؛

اشتاق لصوته لكي يعيد لي توازني "

تهادت وهي تهمهم بكلام بالكاد يسمع، ألتحفت بردائها

وقرقت

ذابت الشمعة من حرارة زفرتها.

طلع الشفق وهي على حالها

هل غفت؟

كيف تغفو وأكفها تهتز

اضطربت حين ومض هاتفها ثم رمت به
تمتت: ليته هو، ليتني لم أسأله ذلك اليوم أين هو؟!
أين أرضه؟
أي سماء يلتحف!
انقطع صوته، أحدهم انتزع الهاتف منه
وسمعت أصوات سلاسل.
لم يسألني ما بال صوتي مبجوحا.
لم أخبره أنني أسقط أرضا، وأفقد وعيي لساعات ،
كان الشجن، والحنين في نبرات صوته..
غطت شعرها المنسدل على كتفها وحاذتني
استرقت النظر إليها، وجه شاحب وطرف مخضل، وتحت
عينها هالة داكنة من الأسى
أغلقت الباب وغرقت في الظلام مرة أخرى.

١٣- رسائل

بدأت تمطر، فتذكرتك،
تقبل قطرات المطر رفوف نافذتي، تتزحلق على زجاجها،
ستأثرها من خيوط العنكبوت التي نسجتها منذ عامين.

غيمة تمطر يا غيمة.
فتحت عيني الناعستين، عبق المطر أبي إلا أن يذكرني بك،
مازالت صدى ضحكائك تطرق مسامعي، شعرك الأسود
المنسدل على كتفيك المبلل بزخات المطر يلوح لي..
وأنا من خلف نافذتي استنشق عبقك، وبين لحظة والأخرى
يرفرف طرفك الكحيل فيخفق قلبي، وأغرق على ضفاف
ثغرك الباسم.

فأيكما الغيث، يا غيثا يروي أعماقي الجدباء.

انتفضت وعانقت رسائلك. كل تلك الرسائل مازالت في
حوزتي بكل ألوانها، وأحب اللون الأصفر منها لأنه لونه
المفضل، لا أميز بين تلك الظروف، لكنني أحفظ الرسائل
التي تحتويها، حرفا حرفا، أقرأها عن ظهر غيب.

كلما أمطرت هرعت إلى احتضان سطورك، لأسمع صوتك
وأرى دموعك فيها،

حينما كنا نلتقي أو أودعك تنهمر دموعك،
فأضحك،

فتعاتبيني ثم تغضبين،

فأمسح حبات دموعك المتناثرة على وجنتيك المتوردتين
وأهمس لك:

- كفى يا غيمة لا تمطري فأغرق أكثر.

غرقت، نعم غرقت في غياهب أحزاني

سرقِ مني وأنا مكبل بقيود الفقر !

حفرت دموعك يوم زفافك قبري

ها أنا قابع هنا وحدي، أتنفس الذكريات

في السماء غيمة كلما زجرها الرعد بكت، مثلك تماما.

أنام غارقا في آهاتي،

هل يذكرك الغيم بي؟

أما زلت تخافين صوت الرعد؟

ويبيك لمع البرق؟

أما يزورك طيفي مثلها هو حال طيفك يسرق لذيذ نومي؟

يتسلل شعاع الصباح من شقوق نافذتي المهجورة كل يوم.

يهمس لي:- أطل خلف نافذتك غيمة.

كيف أطل، وأنا الضريير يا غيمة؟

" رسالة لم تُقرأ "

امتألت الصلاة بالحضور؛ توهجت الأضواء،
واتجهت الأنظار إلى المنصة، دوزنت الموسيقى،
ثم عم الهدوء وسمعت صدى اسمي تردده في كل زاوية من
زوايا المكان، علت هتافاتهم ورشقوني بالورد وأنا أشق
طريقي إلى المنصة.
هناك وأمام الجميع تآقت عيوني بالدموع، تبسموا وظنوا أنها
دموع الفرح؛ إلا أبي لم يتسم وسحت دموعه من عينيه.
مرّ بي شريط الذكريات وقتئذ، تذكرت حينما عاقبتني بعدم
الخروج واللعب مع أصدقائي لأن درجاتي في الاختبار
كانت منخفضة، تذكرت سهرك بجواري في السنوات
الأخيرة من المدرسة.

نمت ذات مرة مرهقا والكتاب بيدي على المنضدة ووجدت
نفسي على سريري
عندما صرت شابا تمردت، نعم تمردت
كسرت كل تلك القوانين، صار صوتي أعلى من صوتك.
أرمني بملازمي أمامك، وأغادر المنزل إن طلبت مني
الاجتهاد أكثر،
فتطفر الدموع من عينيك، وتتممين بكلام لست أفهمه.
أرمني ملابسي هنا وهناك، وغرفتي أغادرها وهي مقلوبة
رأسا على عقب.
أتأفف إن لم يكن الطعام على المائدة سريعا حتى لا أضيع
فسحة مع الأصدقاء

أعود إلى البيت قبيل الفجر، فأجدك خلف الباب منتظره.
فلا آبه بقلقك، ولا أجيب عن حيرتك التي تنطلق من
أحداق عينيك.

أدلف إلى غرفتي وأدفع الباب بقوة، غير مبالٍ بوجهك
الشاحب، وشفتيك المرتعشتين، ونشيج صدرك الذي أسمع
كل ليلة حين أعود

وإن كان أبي لي بالمرصاد لا بد أن أتلقى صفتين إحداهن
تكون لك.

كنت أشعر بتأنيب الضمير أحيانا، لكن سرعان ما يتلاشى
ذلك مع أول نفثة من سيجارة يناولني إياها صديقي أسعد.
رفضت دخول الجامعة ما لم أقتن سيارة فارهة، في الصباح
جئت بعلبة، والابتسامة الدافئة مرسومة على ملامحك
فقفزت إليك أقبلك فحضنتني بذراعيك النحيلتين ثم قلت:

إن لم تبهرنني بتفوقك سأسحبها منك، فوعدتك وأخلفت وعدي

لم تيأسي ولم تملي من الدعاء لي. رفقتك حنانك، أناملكِ
الناعمة التي تمسح عن جسدي ذلك التمرد
فيقشعر بدني وأشعر بهمسك يحتاج أعماقي:

يارب رده لي وأبعد عنه رفقاء السوء.

لم أنس تلك اللحظة وأنت تحتضنين وجهي بكفيك وأنفاسك
تحسرج: انتبه لنفسك "يانور عيني" كن كما وعدتني أن يكون
اسمك ضمن الأوائل

لم أستوعب رحيلك بهذه السرعة، كل زاوية في البيت أنت،
أقبل كل شبر مشيت عليه لعلني أحظى بأثر قدميك.
لم أبتسم؟

ماذا أفعل بابتسامة أنت لا ترينها؟

لطالما قلتِ أن ابتسامتي تنسيكِ الملكِ ٠

أمسك بسباحتك، اضم سجادتك فإزال عطرك عالقا بها

أمكث كثير في مصلاك أشعر أنني في حضنك فهو المكان
الوحيد الذي كنت تلهجين فيه باسمي ليل نهار
ما زلت أحتفظ بثوبك.

خبأته في دولابي وبين مقتنياتي الثمينة
وحينا تشتعل نيران الشوق إليك أطفئها بأريج عطرك العالق
فيه..

استجاب الله لدعاك وصرفي عنهم،
وتعرفت على رائد، فشمرت مئزري ولمع اسمي في الجامعة.
ومرت خمس سنوات، وأنا كأني فقدتك بالأمس
ها أنا أكتب لك رسالتي الخامسة في ذكرى رحيلك
الذي يصادف يوم تخرجي، فابتدأت رسالتي به،

فأخضل طرفي وتبلت رسالتي إليك بدموع الشوق والحنين.

١٤- فقدت بعضي:

لم تتحدث، لكن العبارات طفرت من عينيها.
لم أبدأ الحديث أردتها هي من تبدأ
غامت مآقيها.

فقلت في نفسي الآن تمطر:

لقد تعودت على بكائها كلما طلبت مقابلي ،
ولا نكاد نلحظ في شعرها التبرم ولعلها متصالحة مع واقعها
وعادات مجتمعتها، أملك إلا أن أجيب دعوتها على إكراه في
نفسي.

هي تعي ذلك وتشعر به، وقد كنت صريحا معها
أنا لا أصلح للحب، أقضي جلّ وقتي في دراستي ووسط
مكتبتي ألتهم الكتب.

لكن ماذا أفعل وقد باحت لي بمشاعرها؟!!

ورضيت أن يكون حبها من طرف واحد!
أشفق عليها، فأنا مشاعري متجمدة هكذا ينعتني أصدقائي.
حينما يرون اهتمامها وتعلقها بي.
- تحدثي أسمعك يا ربي.
- ماذا هناك؟

ابتلعت عبرتها، وأشاحت بوجهها عني
أطلقت زفرة شعرت بحرارتها
وقفت ثم قالت: - وداعاً لقد تعبت.
ظللت أراقب تهادي خطواتها واهتزاز كتفيها يبدو أنها
تنتحب.
لم آبه لما حدث.

أردتها أن تبتعد عني لا أريدها ان تتأذى بسببي.
تملكني شيءٌ من الفرح ها هي قد ذهبت؛

حتما ستجد من يستحقها.

لم تكن قبيحة فحين تنظر في عيني تتسع عيناها البنيتان
المظللتان برموش سوداء طويلة
حنطية البشرة، رشيقة القوام
تعبث بخصلة شعرها المنسدلة على وجنتها حينما أصمت.
فأنا لا أتحدث معها إلا قليلاً
نتقافز أمامي كطفلة تلهو امام أبيها
قاطعني وائل:- تتحدث عنها كأنك وقعت في حبها،
وتكابر أن تعترف لها.
-تعرف مخطئ أنا إنني تحدثت معك.
في الليل أقلب رسائلها. ترسم ابتسامة على ملاحي
طيفها يزورني عند غفوتي. صوتها يرن في مسامعي.
أصبحت لا أشتهي شيئاً، بين يدي كتاب لم أستطع منذ شهر
أن أكله.

ماذا يجري؟؟

يبدو أنني متعب أحتاج إلى الراحة.

كنت أقع نفسي بذلك، لكنني فقدت شيئاً، وصرت أبحث عنه في دهاليز الغياب.

هل هذا الشيء الذي فقدته كان في حوزتي ولم أحافظ عليه؟
أم أنني أعاني من وعكة صحية؟
- لا لا حتماً أنا متعب.

--تعرف يا رائد، منذ ذهبت "رَبِّي" نَحَلت وشُحِب وجهك
والله..

-يكفي كم مرة أطلب منك لا تفتح معي هذا الموضوع.

أقسم إنك تحبها، لم تظلم نفسك أيها الفيلسوف؟
تستطيع أن تضلل الجميع إلا أنا.

تركته وثرثرته، فأنا أقوى من أن أقع في الحب

و"ربى" مجرد فتاة عابرة في حياتي

وقد ذهبت.

بعد أسبوعين.

– "رائد" بارك لي لقد خطبت

مبارك لك يا صديقي، سأرتاح منك

لم تسألني من المحظوظة؟

– من؟

– ربي..

– رررربي!! قلتها وأنا مرتبك

– نعم، أنا أحبها قبل أن تقع في حبك لكنها رفضتني

وتمسكت بك وبعد أن يئست منك

وتأكدت أنك لا تريدها، عدت وطلبتها للمرة الثالثة

فوافقت..

شعرت بشيء يمزق نياط قلبي، شيء يحترق أعماقي،
تسارعت نبضاتي
كان الدم يتدفق بقوة في أوردتي
تنفست بصعوبة.

استعدت رباطة جأشي وقوتي وتبسمت:

_مبارك لكما يا صديقي

ثم انصرفت، وبللت ليلتها وسادتي بدمعي
كانت تلك الليلة عشية ميلادها، تذكرت رسالتها التي كتبتها
لي قبل عام " نمت وأنا انتظر رسالة منك وإن كانت فارغة
المحتوى "

"رسالة منك تصنع لي بداية عامي الجديد"

بكيت وشربت دموعي كم كانت مالحة وحارة وموجعة
أدركت أنني فقدت بعضي دون أن أشعر.

١٥- أحمر الشفاه

تزهو بفستانها الزهري القصير
تطلب من أمها بدلال وغنج، لتضع لها أحمر الشفاه
ترفض الأم وتعرض عنها، تضع يديها على عينيها العسليتين
وتبكي دون دموع
يزجر والدها:
_لم تبكين؟
تضحك أمها، وتشير إلى شفثيها
أخذها في حضنه وبكل عطف رسم أحمر الشفاه على شفثيها
الورديتين الصغيرتين
فترتسم ابتسامة ساحرة على وجهها،
ويبادلها التبسم كعلامة رضا وحب

وضعت نظارتي بين دفتي الكتاب الذي بين يدي

تمت (أَوْ مَن يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينِ

(

عادت بي الذاكرة إلى ما قبل عشرين عاماً،

كنت أنسلل إلى غرفة أمي خلصة وأعبث بأدوات زينتها،

ألطح وجهي بكل الألوان

تزجر أمي غاضبة، فأرتجف، فتسيح دموعي على وجنتي

فترسم لوحة كالشفق

تعبت أمي وهي تحاول أن تقنعني أن هذه الألوان لا تصلح

لي وسوف تؤثر على بشرتي البيضاء حينما أتعرض لأشعة

الشمس

قلت لها ببراءة:

سأبقى في البيت لن ألعب.

ذات مرة أخرجت فستانها الأسود وارتديته بصعوبة،
وارتديت حذاءها ذا الكعب العالي،

وتناولت زجاجة عطر فاخرة فانكسرت من بين يدي
سمعت خطوات أمي نحوي تسمرت مكاني
يومها بكيت بشدة، فقد ضربتني حتى أوجعتني
تقول أمي: أني لم أدخل غرفتها بعد تلك الحادثة
لمدة أسبوع فأحسست أنها أول مرة تقسو علي
دعنتي إلي غرفتها، سرحت شعري الأسود الفاحم
وتركته مسدولا على كتفي وزينته بطوق اللؤلؤ،
أخرجت أحمر الشفاه ووضعتة على شفتي،
مكثت أمام المرآة ساعة لم أصدق ما فعلته أمي،
تفافزت وخرجت إلى الشارع فرحة،
أمسك فستاني الأصفر، لكي لا يتسخ
وأختال كالأميرات.

من بعيد رأيت أبي،
ركضت نحوه بفرح

لم يفتح ذراعيه
نظر إلي بعينين يملؤهما الغضب،
صرخ بصوت كاد يصم بصري
كالبرق سبقته إلى البيت وخلف أمي اختبأت
كان يصرخ وأمي تهدئ من روعه
أعرف أنه حينما يغضب يكون الخطب جلال
لم أفهم سوى أنه قال سأقص شفيتها إن رأيتها تضع هذه
الألوان،
إياك أن تلبسيها مثل ذلك الفستان
إنها بنت يا امرأه متى تفهمين؟!
ستفسدينها بهذه التفاهات!!
كبرت وأبغضت ما كان يغضب أبي

صارت أُمِّي تنعتني بالمسترجلة.

١٦- قارب من ورق

قبل الفجر بساعة يتجهز الصيادون، يبدأون
بتجهيز معداتهم لرحلة جديدة للبحث عن لقمة العيش.
يخرج سهم تودعه أمه بدعواتها الرقاقة.
ينطلق "سهم" كالسهم ليدرك رفقته،
فيجدهم في انتظاره.
_ هيا يا "سهم"، سيبدأ الصباح وأنت تترنح.
سمع صوتاً من خلفه:
لم يره جيداً.
اقترب منه، فإذا به أخوه سعد
_ لما لحقت بي؟
_ سأذهب معك

ينطلق "سعد" نحو البحر.

يضع قاربه على الشاطئ

يسمع هدير الأمواج يترك القارب، يصرخ "سهم" :

- أدركني سأموت

يحتضنه، ثم يهمس له:

- عد أمي ستقلق عليك

- قاربي!!

- عندما أعود سأصنع لك قاربا أجمل منه

يبتسم، ويعود إلى البيت.

يقف "سهم" يتأمل قارب "سعد" المصنوع من الورق فقد

مزقته الأمواج.

يمر به شريط الذكريات في تلك اللحظة قبل عشرة أعوام حين

كان هو وأخوه الأكبر "سعد" يرافقان أباهما إلى الساحل

ودعاه، والابتسامة تشرق من محياه

هيا يا فلذات كبدي عودا إلى أمكما.
سأعود عند الغروب، أجدكم هنا لتحملوا ما جلبت لكم من
سمك.

الشمس تنحدر معلنة نهاية يوم جميل انتظراه، طال انتظارهما؛
حل الظلام.

عادا دونه، بدأ الخوف يتربص بهم.

لم تتم الأم ولا أولادها.

ذهب "سعد" يترصد خبراً يطمئن به عن والده،

وجد بعض أهل القرية يبحثون عن أخبار صيادين خرجوا
في ذلك الوقت لم يعد منهم أحد.

لم يطل الوقت حتى نشرت بعض القنوات

أن صيادين لقوا حتفهم أثر سقوط قذيفة على قواربهم في
البحر

هرع أهل القرية إلى الساحل بدأ العويل والبكاء امتزجت
دموعهم بمياه البحر المالحة

زاد هيجان البحر وغضبه..

لاح الفجر

كان يوماً حزيناً

أشعة الشمس تسلت بهدوء

ساحل الفرح تحول لمأتم.

هرع الأهالي، فقد حملت الأمواج بعض الجثث، بين جثة

وأخرى بضعة أمتار.

كانا يبحثان عن والدهما وسط تلك الجثث

- لم يمت أبي يا سهم، سنجده حياً يرزق

قطعوا أكثر من ألف ميل دون جدوى؛

مرض "سهم" كمداً وحزناً.

واصل "سعد" البحث عن أبيه ثلاثة أيام متتالية عند طلوع
الفجر يذهب إلى ساحل الفرح في كل يوم يزيد أمله أن
أباه سينجو.

في اليوم الثالث، جلس "سعد" على الساحل بعد أن أعياه
التعب لم ييزغ الفجر بعد.
لمح ببصره شيئاً من بعيد.
ركض نحوه كان بقايا قارب والده.

فقد كانت هناك بعض العلامات تميز القارب
أخذ تلك اللوحة فوجد تحتها ذراعاً أخذ يقلبها صرخ بأعلى
صوته.

حتى سمع صدى صوته أهل القرية، فهرعوا إليه
تارة يضحك وتارة يبكي
كانت ذراع والده قد فقد خنصر اليد اليسرى وهو صغير.

لم يستطيعوا أخذها منه إلا بشق الأنفس،

بعدها أصيب بحالة نفسية
كل يوم يصنع قاربا من ورق، ليذهب به إلى البحر، لينقذ
والده بذلك القارب.
انتبه "سهم" على صوت أحد أصدقائه.
- هيا يا سهم قبل أن تشرق الشمس،
فرحلتنا طويلة.

١٧- حافية القدمين

أطلت برأس مثلث الشكل، وعينين واسعتين بلون السماء،
وقرنين صغيرين يرتعشان مع كل خطوة.

القطتان اللتان تزينان مقدمتي جوربيها الصوفيين الداكنين
الذين تضعهما أمها في قدميها كل صباح تحبهما ولا تفارقهما
إلا حين تنزعهما

—رحى تعالي يا صغيرتي، أبوك يريدك.

كانت خلف الباب تنظر إليهما بعد أن استيقظت على أنين
والدها الذي يلازم الفراش منذ أشهر.
تقدمت بخطوات بطيئة، ثم توقفت.

—اقتربي، لا تخافي أنا بخير.

جرت خطاها، وارتمت على صدر والدها باكية.

ضمها إلى صدره، اهدئي يا صغيرتي.

سكنت، أخذ يداعب شعرها الأشقر المنساب على كتفها،
ويمرر يده عليه من أعلى إلى أسفل .
همس لها:

هل تريدان جوربين جميلين كالذي ترتدينهما؟

ردت مبتسمة ودموعها لم تجف:

هل ستذهب لتشتري لي؟

نعم، حين أشفى سأخذك إلى السوق وأشتري لك معطفًا
وجوربين.

قاطعته وهي ترفع إحدى قدميها كهذا؟!

ضحكت أمها.

- نعم يا نور عيني كهذا.

نامت على صدره، ونام هو بعد ليل طويل صارع فيه الألم.

في منتصف الليل تستيقظ على ذلك الصوت الذي اعتادت
عليه كل ليلة،

تختبي خلف باب تلك الغرفة، لتنصت لأنين يهز جدران
المنزل على ذلك السرير المتهاك،

يتمدد جسد يقاسي أنواع الآلام،

بعد كل جرعة كيماوية يصبح لذلك الصوت صدى يكاد
يسمعه كل من في الحي.

في الصباح استيقظت، نظرت إلى جوربيها قد اخترقه
الإبهام .

نزعتها وهي المرة الأولى التي تفعلها ومشت حافية القدمين
تحمل جوربيها بيديها، وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

كما هي عادتها طلت من خلف باب حجرة والدها، هدوء
غريب يسود أرجاء الغرفة.

أحدهم بجواره، صوت بكاء،

اقتربت، نظرت هنا وهناك

ثوب ناصع البياض يغطي ذلك الجسد النحيل،

ثوب أسود ترتديه أمها.

— أمي

لم أسمع صوت أنين أبي.

هل تعافى؟

سيصحبني إلى السوق، أليس كذلك؟

قال لي:

إنه سيشتري لي معطفا، وجوربين أجمل من هذين الجوربين.

أريد جوربين فيهما صورة" لولو كاتي"

مدت يديها وهي تمسك كلا الجوربين بيديها:

— انظري تمزق جورباي!

تعالى يا صغيرتي قبلي أباك قبل أن يرحل.

١٨- غصن

لم يدرك أنه سيقع في غيابة الحب بداية من تلك النظرة.
بعد عودته من الغربة التي صنعت منه شخصاً آخرًا.
فقد أصبح أكثر وسامة، ويملك من المال ما يجعل كل
فتيات القرية يتمنينه.
"أجملهن معاقة" كان ذلك رد والدته حينما سأها عن أجمل
فتيات القرية.
_ اختر من تعجبك وإن كانت من قرية أخرى أريدك أنت
من تختار عروسك، سيكون يوم السعد أن أخطب وأن
تكتحل عيني برؤيتك عريساً.
_ حسناً، سأفعل لا تقلقي.

يستيقظ مع نسيم الصباح وزقزق العصافير، وهطول
الندى، وعبق الحقول

ففي تلك، الروابي ترعرع ونشأ، يجوب كل صباح تلك
السهول الخضراء ويملاً، رثيه بنقاء هوائها، يقف كفزاعة
على ضفاف الحقول، يقبل حبات البن المخولة، يلمس فيها
غربته، فقد أصبحت غريبة في وطنها.

مازال والده متشبثاً بها وبعراقتها وطقوسها،
يلتقط بعض الصور بمحاذاتها ويرسلها لأصدقائه
ليثبت لهم أنه مازال عاشقاً لها كما كان يحدثهم عنها وعن
عشقه لها منذ نعومة أظفاره.

هزت "لمى" كتف صديقتها

ـ انظري من هناك!!

ـ من؟

ـ وضاح.

ألم تسمعي عنه؟

شغفن بنات القرية بجماله عاد من الغربة قبل أيام
وعندما حاذاهما ألقى السلام..

ارتبكت "لمى" ونجملت،

فردت "غصن" السلام

لقد سلم، كان ينظر إلينا .

نهضت "غصن" وتابعت طريقها دون أن تنبس بحرف .

تلك العينان الدعجاوان، الواسعتان اللتان تظللها رموش

سوداء طويلة لم تغب عنه لحظة وتلك الوجنتان المتوردتان

تشبهان حبات البن .

في اليوم الثاني، وعند عودته مر بالساقية وقت الظهر

أقبلت "لمى" و"غصن"، وحينما كان و"ضاح" على الساقية

ترددتا أن تقبلا نحوه .

ابتعد دون أن يعرفهما، كان يرقبهما من بعيد.
شيئاً ما يجذبه نحوهما، تعثرت "لمى"، وسقطت صرخت
"غصن" تطلب المساعدة ركض و"ضاح" نحوهما
وساعدها على حمل "لمى" فقد أصيبت في كاحلها برضوض.
بين الفينة والأخرى يسترق النظر إليها
لمحته "لمى" دون أن ينتبه لها
وطئت بقدمها الأرض، ثم صرخت من شدة الألم
قدمي تؤلمني
قالت "غصن":
- أتكئى على كتفي
ثم التفتت إلى حيث يقف و"ضاح"
أنتِ عرجاء لا تستطيعين المشي، فكيف أتكئى عليك
سنسقط حتما!
أنا خائفة أن يحدث لقدمي شيء فأصبح

قاطعتها والعبرة تترقق في عينيها:

_لا تخافي لن يحدث شيء

ليس في القرية عرجاء غيري.

فهم و"ضاح" كلام أمه حين قالت له: "أجمل فتيات القرية

معاقة"

لم يفهم تلك الإعاقة ولم يسألها عنها

ظن أنها صماء، أو بكاء، أو عمياء

لم يتخيل أنها بهذا الجمال المشوق

_من قال أنها عرجاء: هي كالغصن يتميل ويترنح في حركته.

يترب خطواتها أينما ذهبت.

على الساقية، وعند صعودها إلى منزلها المرتفع المطل على تلة

بجوار سد القرية الكبير،

وهناك على أغصان أشجار البن كان يراها.

يتبعها كظل خلفها وأمامها.

ذات صباح كانت على المورد وحيدة، كنجمة تغفو على
كتف الشفق،

وإذ بصوت يقترب منها: صباح الخير

صمتت ولم ترد!

— استعجلتُ لكي أراك، يومان لم تغادري منزلكِ

استدارت نحوه:

— ألا تركني في شأني؟

لم تلاحقني؟

ألم تسمع حديث أهل القرية؟

يتحدثون عن "وضاح والعرجاء"

لا يليق بك هذا اللقب.

كانت تتحدث وشفتها ترتجفان، وطرفها مخضل

- أرجوك أتركني في حالي إن وصل الحديث إلى مسامع أخي
سيقتلني دون أن يتبين الأمر،
ثم أجهشت بالبكاء
عض على شفتيه وتجمدت أطرافه.
استعاد رباطة جأشه، ثم قال:
- غصن أنا أريدك، منذ ذلك اليوم الذي رأيتك فيه
لا يغادرني طيفك.
أنا أبحث عنك منذ سنين والآن وجدتك.
ردت بصوت بالكاد يفهم:
- هل كنت تبحث عن عرجاء؟؟!
قاطعها: أنتِ كاملة في نظري لم أركِ كذلك أبداً.
مرت الأيام، وزاد و"ضاح" حبا لغصن، وأصبح حبه
حديث أهل القرية، رفضت والدته ذلك الحب،
وصفعه والده حينما سمع الخبر

كانت الصدمة قاسية، فقد أصبح حبيس غرفته.
نحل جسمه، وذلك الوجه الغض صار شاحبا.
حزم أمتعته وعزم على الغربة لعله ينسى،
رفض والده قراره وأقسم إن غادر القرية لا يعود إليها أبداً
ما لم يتزوج وينس العرجاء.
مرض ولازم فراشه أياما، رثى لحاله من زاره،
وصار مرضه وحبه لغصن حديثا تناوله الألسن.

– أين "غصن" يا أمي!؟

كان "خالد" يصرخ بأعلى صوته وهو يبحث عنها
بعد أن سمع الألسن تتحدث عنها.
أقبلت إليه، التصقت كفه بخدها حتى شقت حلقت أذنها
اليسرى ووجنتها.
ثم أنهال عليها ضربا وسط بكاء أمها.

عاشقة، يا عرجاء، ثم بصق في وجهها ومضى
لم تحرك ساكناً!
تجمدت الدموع في مقلتيها
وقفت ثم جمعت أنفاسها.
ركضت نحو طريق خطر لم تأبه بصراخ أمها.
انزلقت وتدرجت نحو السد ووقعت فيه.
علا عويل ونحيب أمها، ضجت القرية بالغمجمة.
شعر و"ضاح" بالضيق يكتم أنفاسه، ففتح نافذة غرفته رأى
الناس تركض نحو السد
ارتجف وخفق قلبه،
فتح الباب ووصل إلى مسامعه "العرجاء رمت نفسها في
السد"
سابق الريح ثم قفز في الماء

غطس طويلا، لم يجدها مرة، مرتين، في المرة الثالثة عاد
يحملها بين ذراعيه مازالت حية لكنها تنزف فالجرح في رأسها
كانت تلفظ أنفاسها

تلون الماء باللون الأحمر، صاح الجميع
-لقد فارقت الحياة.

هزها بكتفها:

– لا تموتي مهما يبس الغصن فإنه لا يفارق الشجرة.

حملوها، وهو يودعها بدموعه.

صرخ: انتظريني، فالتفت الجميع إليه.

ثم كان قبره بجوار قبرها،

ومازال سد العاشقين يروي قصة حب دفين في أعماقه.

٢٠- حبيس المقهى

وقفت أمامه، المكان هو المكان تغير الزمان والوجه فقط.

مازالت النافذة وزاويتي المفضلة كما هي

عشر سنوات مرت سريعة منذ غادرت المدينة

على أعتابه، فتحت حقيبة الذكريات

هدوء الفجر، عبق القهوة، صوت كوكب الشرق الفناة ام

كلثوم، ابتسامة العم أبو أحمد وتحيته الصباحية التي تعودت

عليها- "صباحك ياسمين مبلل بقطرات الندى"

لتلك التحية نكهة خاصة كنكهة قهوته التي تروق لي كل

صباح

كنت أول زبائنه، أجلس أمام النافذة أمامي مفكرتي وقلبي

في تلك الزاوية أستلهم فكرة قصة أو مطلع قصيدة ومع

كوب القهوة أبدأ سطوري

وكان تلك الزاوية منبع إلهامي،
يقدم لي كوب القهوة الخاص بي فهو يعرف مزايا كوب
قهوتي،
يسرق من وقتي بحديثه الشيق وثقافته الواسعة، ثم ينصرف
فهو يعرف أن وقتي من ذهب على الرغم أنني أسعد بحديثه،
لكنه يؤثر أن يتركني لهمس قلبي.
رذاذ المطر ونسائم الصباح تصنع عالمي الخاص
كثيراً ما تحديق عيناى خارج النافذة.
حين أشتم رائحة الحنين ممزوجة برائحة المطر،
وأكتب لها حروفا تحاكي ذلك الشعور الذي يحتاجني،
وأعرف أنها لم تقرأها، ولن تقرأها
ما أن يبدأ الضجيج، وترسل الشمس أشعتها،
ويكتظ المقهى بالعامه
أكون قد مللت أفكارى، ومفكرتى، وغادرت المقهى.

٢١- غيمة

تطل من شرفة المنزل ترقب أباهما عند عودته.
تستقبله بشغف.

يحملها بكلتا يديه، يقبلها
يضمها إلى صدره، تتعالى ضحكاتهما
ابنة الخامسة من عمرها ذات وجنتين ورديتين
وعينين عسليتين،

شعرها المتدلي على كتفها يزيد جمالها.
كان الجو غائماً والسحب ثلجاً،
بدأت قطرات المطر تهطل بغزارة،
امتلات الشوارع بالمياه.
لم يتوقف هطول المطر،

تعبت شهد وهي تنتظر والدها،

فشرفة المنزل مغلقة، فقد منعتهأ أمها من دخولها خوفاً عليها
من المرض.

تسللت خلسة ودخلت الشرفة،

كانت الرياح قوية. الرؤية غير واضحة

خفق قلبها خوفاً على والدها،

انتصف النهار، طال انتظارها

أمسكت بحبل الغسيل لترفع أكثر، لعلها ترى والدها في نهاية
الشارع،

طُرق الباب بقوة. الصراخ يتعالى

أم شهد تنادي:- افتحي الباب يا شهد،

كانت مشغولة بتجهيز الغداء،

كاد الباب أن يكسر، ركضت والخوف ينتابها.

-شهد أين انتِ؟

ألا تسمعين صوت الباب؟

أحد الجيران من خلف الباب

أين أبو شهد؟

_ لم يعد بعد.

_ ماذا حدث؟

أخذت تصرخ أخبروني ماذا حدث له؟.

تعالى يا شهد، أبوك ذهب وتركنا.

أخذها الجيران إلى المشفى.

كانت تركض في أزقة المشفى،

وتصرخ:

_ أخبروني هل مات؟

_ أين هو؟

عند باب غرفة الطوارئ وجدت

زوجها واقفاً على قدميه

هرعت إليه احتضنته، كان كصمٍ دون حراك،

الدموع تنهمر من عينيه

— أين شهد؟!

ضاعت منّا

جثت على ركبتيها

لم تتذكر شيئاً،

سوى تلك الشرفة التي حذرتها ألا تدخلها،

وأغلقتها.

لم تمت شهد لكنها فقدت بصرها للأبد.

٢٢. بأعة التوت

في الصباح تلبس المدينة ثوبها المبلل برذاذ المطر،
ويتكى الغيم على سفوح جبالها.
تتمل في أحضان الضباب، كعروس في صباحية عرسها .
تسبقهن ضحكاتهن
يحملن على رؤوسهن ثمار التوت .
كل صباح يزين الرصيف وكأنهن درٌّ منشورٌ ،
يأتي ذلك اللحن الشجي: توت بري
_من يشتري التوت ؟
أحاذين عند ذهابي إلى الجامعة، ألقى عليهن ابتسامتي وأمر
; فأنا لا أحب التوت .

كانت مشغولة بترتيب حبات التوت، وحين استوت،
ورفعت ذراعها تعدل نحارها ،
وقعت عيناها في عينيها، احمرت وجنتها كرماتين ،
وترنحت ابتسامة على ضفاف ثغرها المتورد،
انتعش الشارع، وتلاشى الضباب، وكأنها الشمس أرسلت
أشعتها المنجولة، فابتسم الحي
تبدو أكبرهن وأعرفهن بالمدينة،
غضضت طرفي ومضيت متمتما:
_ سبحان الله! كأنهن نجوم وهي قمر "
عند إياي مررت في المكان نفسه ،
لم يبق إلا هي، لم ينفد ما أحضرت
اقتربت منها واشترت ما بقي،
كم كانت سعيدة وهي تحتضن الكرتون الفارغ
_ هل يعجبك التوت ؟

- نعم، أعشقه،

مضت وأنا أراقبها حتى ابتلعها الحي

أحبت موسم التوت، وصرت أترقب متى سينتهي ،

إن غبن يصبح ذلك الزقاق كثيباً

وإن غابت أفقد فرح يومي، ولا أعدُّ ذلك الصباح صباحاً

-اليوم كاد ينفد ما لدي لكنني خبأت لك حصتك .

أخذه والسعادة تغمرني .

-نسيت أن أخبرك، أوشك الموسم على الرحيل

سيفقد هذا الرصيف رونقه،

وسيصبح المكان موحشاً.

-إلى أين تذهب كل صباح؟

--إلى الجامعة لم يبق على تخرجي إلا القليل .

زفرت زفرة كادت تحرقني ثم ردت:

-كنت أذهب إلى المدرسة قبل أن يموت والدي

تركها منذ سنوات،
كان حلبي أن أصبح معلمة ..
لم تكلم حديثها.
لمع الدمع في عينيها العسليتين واختصر الكثير من الكلام.
_لقد تأخرت سأذهب الآن
تركنتي أفك شفرات عباراتها !
وغرقت أكثر في كلامها المبعثر!!
أحمل ما اشتريته، وأكله بشراهة فتنظر إليَّ أمي مشدوهة _
منذ متى تحب التوت؟
فأضحك :
_منذ رأيتَه في كفها
فتزجر وتتمم مولية لي ظهرها: جَنَّ الولد
آذار يودعنا ومعه سنودع موسم التوت
_تري كيف يكون صباحنا دون عبقه

ولونها القرمزي ؟

عناقيد الجمال التي تبدل في مدينتنا عند كل شروق ستختفي .

_ هذه لك هدية مني

ناولتني كيساً مملؤاً بالتوت .

كنت ادخرت مبلغاً لأشتري حصتي بضعفي ما أشتريه كل

يوم،

كمساعدة لها

لكنها فاجأتني حين رفضت أن تأخذ حتى قيمة ما ادخرت

لي .

طلبت منها أن تنتظر، ثم جئت ببعض الحلوى

_ هذه هدية مني، أنا قبلت هديتك لا ترديها

تهللت أسارير وجهها .

-منذ مات أبي لم نأكل الحلوى ..

ودعتها وكلي حيرة، لا أدري أهي تبادلني نفس الشعور؟

كانت تلوح لي بكفتي يديها حتى غابت
لوحث لها بيدي اليسرى ثم وضعت يدي اليمنى على قلبي
فقد كان النبض ببطء.

انتظرت الموسم بفارغ الصبر،
وطال الانتظار..

حلّ مزهراً

عاد عقبهن من جديد وأشرق الغيم
أزهر المكان، وتنفس جمالا
كعقد لؤلؤ انتثرن على الرصيف .

لم أرها بينهن!

بحث عنها يومين،

وفي اليوم الثالث رأيت امرأةً في منتصف العمر شاردة
الذهن يبدو الحزن في ملامحها

تقلب حبات التوت يديها المعرقتين

طمرت التجاعيد جماها ،
هي المرأة الكبيرة بينهن
اشترت منها ثم سألتها:
- لم لا تبيع إحدى بناتك ستتعين من الجلوس يا خالة ؟
صمتت ثم ردت بعد برهة:
- كانت لدي صبية هي من تأتي إلى هنا ...
ثم أخذت تكفكف دموعها
شعرت بوخز في صدري
- هل من تتحدث عنها تكون "سديم"؟
ترى هل تزوجت؟؟
إنها قاصرة، كيف ستزوجها؟
أين هي ابنتك يا خالة؟
ردت بصوت يملأه الأسى:
- مرضت بحمي ولم أكن أملك المال لأذهب بها إلى أقرب
مركز صحي.

كانت الحمى شديدة سهرت عليها ليلتين أبعدها عنها بالكدمات
دون جدوى

بدأ الدم يخرج من أنفها وأذنيها .

خرجت أصرخ دون أن أشعر: -أدركوني ابنتي سموت .
أسعفها أحدهم بعد فوات الأوان لفظت أنفاسها على عتبة
المشفى .

ثم انتحيت وأنا في ذهول مما سمعت

- ما اسم ابنتكِ يا خالة؟؟

ردت بصوت متهدج:

- "سديم"

...

-اسمك جميل أتعرفين ما معناه؟

--لا، أبي من سماني إياه وأنا أحب اسمي كثيراً

-معنى اسمك "تجمع نجوم بعيدة وتظهر كسحابة"

تقافزت بين يدي :
-رائع اسمي! أليس كذلك؟
هززت رأسي إيجابا وقلت في نفسي:
قد جمعت بين السحب، والنجوم، والسماء،
والرقة، والضياء،
وأراك بعيدة، كبعدهم..
تذكرت ذلك عندما سألتها عن اسمها
لم تستطع قدمي أن تحملاني فتحاملت على نفسي أجمتني
العبرة والدموع عبثا حاولت ردها

انتبهت على صوتها
-يا بني نسيت ما اشتريته!
نظرت إليها:
--لم أعد أشتهي التوت!!

٢٣- اشتعال الفاجعة

ارتجفت يدي وسقط القلم من بين أصابعي، دسست رأسي
تحت الطاولة لأتناوله

شردت وانتبهت على صوت المعلمة: _شذى أعيدي ما قلت.
تأتأت ولم أتذكر عما كانت تتحدث
_ابقي واقفة.

هي المرة الأولى التي أعاقب فيها نتيجة لعدم انتباهي،
وأنا تلك التلميذة النجبية

كأن شيئاً يشغلني، لم أعرف سببه
ارتعشت يداي، وشعرت بشيء يكتم أنفاسي
كان ذلك حدسي الأول

على الرغم أن عمري آنذاك اثنا عشر عاماً

ما زال هذا حدسي إلى اليوم
كإشعار أن شيئاً ما سيحدث،
للتو نزلت من حافلة المدرسة
بجوار فناء المنزل، رجال لم أعرفهم
نساء يدخلن وأخريات يخرجن
كنت هلعة،
حتى الهواء الذي أتفسه لم يكن هواء، لا أدري كان مختلفاً
تماماً.

ركضت مسرعة وبجوار الباب رميت حقيقتي،
أنظر في وجوه من أعرفهم، فلا أرى إلا الدموع،
غرقت وسط ذلك السواد الذي يملأ المنزل
نشيج وأصوات بكاء،
صوت نحيب من غرفة جدي، اقشعر له بدني

شقت تلك الصفوف، ومن زاوية الباب رأيت النساء
يتجمعن حول امرأة لم أرَ وجهها
حدقت بي عيون المواسيات،
وغمغمت بعضهن بكلام لم أفهمه
جلست حينما رأيتني، وزاد عويلها
تسمرت مكاني كانت تلك المرأة جدتي
صرخت دون أن أشعر:

- أين جدي! ؟؟؟

أريد جدي..

احتضنتني عمتي وهي تبكي اهدي يا شذى، تعالي معي
كنت أرتجف كطائر مفزوع

ذهبت بي إلى غرفتي

أسقتني كأساً من الماء، لم أستطع أن أحمله بيدي

- ابق هنا أرجوك، لا تغادري غرفتكِ إلى أن آتي إليك.

- دموعي تسيح وأنا أنتحب: أريد جدي،

إحداهن اتركي شذى - يا سعاد - أمك أغمي عليها.

كنت كمن فقد القدرة على الكلام

- من الذي مات؟

أنا موقنة أنه جدي

أيرحل دون أن يودعني، ليلة الأمس كنت أمازحة صار

كل شعرك أبيض

تبسم

-- لقد كبرت، ولم يبق من العمر أكثر مما ذهب منه

أيرحل ذلك الحزن الدافئ الذي لا أشعر بالأمان إلا بجواره

أنا وأختي شمس التي تصغرنى بعامين ضحية أسرة مفككة!!!!

نזור أمي بعد أسبوع، أو شهر فهي في القرية ونحن في المدينة

مع أبي

مشيت بخطوات متثاقلة

أطلت برأسي من خلف باب فناء المنزل

- أدخلي لا تبقي هنا.

- عمي أين جدي؟

كانت الدموع تغرق عينيه مسح على رأسي ضمني إلى صدره
لم أذكر أنه حضني من قبل دائماً كان يصرخ في وجهي إذا
لم أضع الغطاء على رأسي حين أذهب إلى البقالة، وألبس

ثوباً طويلاً

- تعالي،

مشيت معه.

كان أحدهم يشير إليّ: - نعم، هذه الكبرى

نظراتهم أبلغتني الصمت أكثر أبحث في ملامحهم عن جواب

لسؤالي من مات؟

الناس يتوافدون من كل مكان سيارات كثيرة قطعت

الشارع، ورجال منتشرون هنا وهناك

- أبي، شذى تريدك،

كانت شمس في حضنه

رفع رأسه لم أره قط في حالة كهذه
عيناه بجمرتين ملتهبتين
فرحت أنه لم يصب بأذى ونسيت سبب حزنه
ركضت نحوه
هل أنا في حلم جدي لم يمت إنه حي
كفكفت دمعاتي وتبسمت
لفني بذراعه.

الحمد لله أنك بخير ظننت أنك مت
رد بزفرة يملؤها الأسى:- ليتني أنا الذي مت
حاولت أن أنطق تلك الكلمة التي نرس لساني، وأنا أحاول
عبثاً أن أقولها:
من الذي مات؟؟

وصلت سيارة الإسعاف غمغم الجميع لقد وصلت الجنازة

فزعت لا أدري لماذا ذلك الشعور اجتاحني فجأة بعد أن
أطمأنت

وقف جدي، ثم جثي على ركبتيه

تركني هناك غارقة في دوامة من الخوف والجزع
سمعتهم يرددون احموه لابد أن يلقي النظرة الأخيرة على
ولده

ولده!!

من؟؟؟

لقد رأيتهم جميعا

من الذي مات؟

فتحوا باب السيارة وحملوا الجنازة إلى المنزل كانت مغطاة
بثوب أبيض، بقع من الدم لوثت ذلك البياض الناصع
صوت دويّ هز المكان
وهز كياني

"مازال صداه كلما مرت تلك الذكرى "تعطرها دمعتان

تسترق من عيني

أياد لا ترحل،

سمعت ذلك الاسم لم يكن غريبا علي لكنني لا أناديه به،

أنا الوحيدة التي أناديه باسم ملكا لي ولأختي.

٢٤ - حوار مبتور

جهزت كوبين من الشاي، كان الجو غائماً وزخات المطر
تبادل القبل مع الأشجار،
في جعبي الكثير من الكلام سبق و تحدثت أمام المرأة كثيراً
لكي أستجمع شجاعتي أمامه.
أقبل والدي، قدمت له كوب الشاي الذي يجبه

بقيت صامتا، لا أدري كيف تعتريني تلك الهيبة أمامه
فلا أستطيع أن أضع عيني في عينه،
شرع في الكلام لقد حفظت حديثه، في كل مرة يحدثني
عن قسوة والده، ودخوله السلك العسكري وهو صغير،
بطولاته وجولاته،

أستمع وأستمع دون أن أنبس ببنت شفة.
أهز رأسي أبتسم، وأتفاعل معه بتعبيرات وجهي. أشعل
سيجارته ثم استنشقتها بعمق،
نفث دخانها تصاعد الدخان أمامي ثم تلاشي
عرفت حينها أنه يجب أن يكون بمفرده
نهضت وأنا أحمل خيبيتي،
فقد باءت محاولتي بالفشل كما هو حالي كل مرة،
أصبر نفسي لعله يوماً ما يرى أنني قد كبرت وأصبحت
رجلاً. نعم كبرت، اليوم وأنا أمشط شعري قبل ذهابي إلى
الجامعة رأيت شعرتين بيضاوين.
لم يبق على تخرجي سوى أشهر، والغريب أنني لم أقع في
علاقة عاطفية كما هو حال أصدقائي الذين ينعنونني بفيلسوف
زمانى.
لم يعرف أحدهم أنني أحياناً أذهب إلى الجامعة مشياً على
الأقدام، لكي أوفر بعض النقود قد أحتاجها فيما بعد،

كنت في نظر الفتيات غريب الأطوار كلما حاولت إحداهن
التقرب مني خطوة أبتعد أمتاراً .

هروبي لم يكن خوفاً، لكنه عزوفاً عن الحب
فكيف لشخص أن يخلق بعيداً وفي معصميه قيود الفقر .
هكذا كنت أردد بيني وبين نفسي .

ذات مساء وعند عودتي من المكتبة التي أعمل فيها أنظف
الرفوف وأرص الكتب وألبي طلبات القراء ولي ركن فيها
يحفظ كل الكتب التي قرأتها .

حاذاني رجل كبير في السن وفتاة تسنده،
وعلى بعد خطوات انتهت على صراخ الفتاة، والدها قد أغمى
عليه فجأة! هرعنا إليه، حملناه إلى المشفى .

رافقتها رثيت لحالها، الوقت متأخر، وهي بمفردها
نجيها اقشعر له بدني هدأت من روعها .
بقيت هناك إلى أن طلع الشفق كانت نائمة على ذراعها
بالقرب من رأسه

تحسنت حالته، وفتح عينه أطمأنيت عليه
رفعت رأسها حينما سمعت صوتي، ثم عدلت في حجابها لم
تظهر سوى عينيها الجميلتين اللتين كانتا تحدقان بي، وأنا
أحدث والدها وأتخاشى النظر إليها.
غادرت المشفى دون أن يعرفوا حتى اسمي .
على الرغم أنني لم أتم تلك الليلة، إلا أنني كنت سعيداً جداً.
ذهبت إلى الجامعة منتعشاً فقد دعا لي ذلك المسن كثيراً.
بعد ثلاث أشهر من تلك الحادثة .
في كافتيريا الجامعة وقفت إحداهن أمامي
بنجل قالت: كنت أود أن أشكرك لم تعطني الفرصة.
لم نعرف حتى اسمك!
فقلت في نفسي لعلي التقيك صدفة وأعبرك عن شكري.
-تعبت وأنا أبحث عنك بين المارة هنا وهناك
كانت هي!

سمعت نبضات قلبي لأول مرة وفرحة غمرتني حين سمعت
صوتها العذب
أجبتها: لا داعي للشكر أختي العزيزة .
لم أفعل شيئاً يستحق الشكر.
رمقتني بنظرة مزجت بخيبة أمل
ذهبت تجرُّ خطاها،
عيناها تراقبان خطواتها وتغرقان بالدموع
وضعت يدي اليمنى على قلبي ثم
زفرت زفرة كادت تكون الأخيرة.

تمت بحمد الله.

الفهرس

- إهداء 2
- ١- إسقاط دَيْن 3
- ٢- ذاكرة معلقة 9
- ٣- عيون الشقاء 14
- ٤- ورد 22
- ٥- كمامة 28
- ٦- بقايا قلب 34
- ٧- قتل حلمي 43
- ٨- فوييا المصعد 50
- ١٠- الغصن والعصفور 63
- ١١- خريجة 67
- ١٢- سمراء 75
- ١٣- رسائل 79

- ١٤ - فقدت بعضي 87
- ١٥ - أحمر الشفاه 93
- ١٦ - قارب من ورق 98
- ١٧ - حافية القدمين 104
- ١٨ - غصن 108
- ٢٠ - حبيس المقهى 118
- ٢١ - غيمة 120
- ٢٢ . بائعة التوت 124
- ٢٣ - اشتعال الفاجعة 133
- ٢٤ - حوار مبتور 141